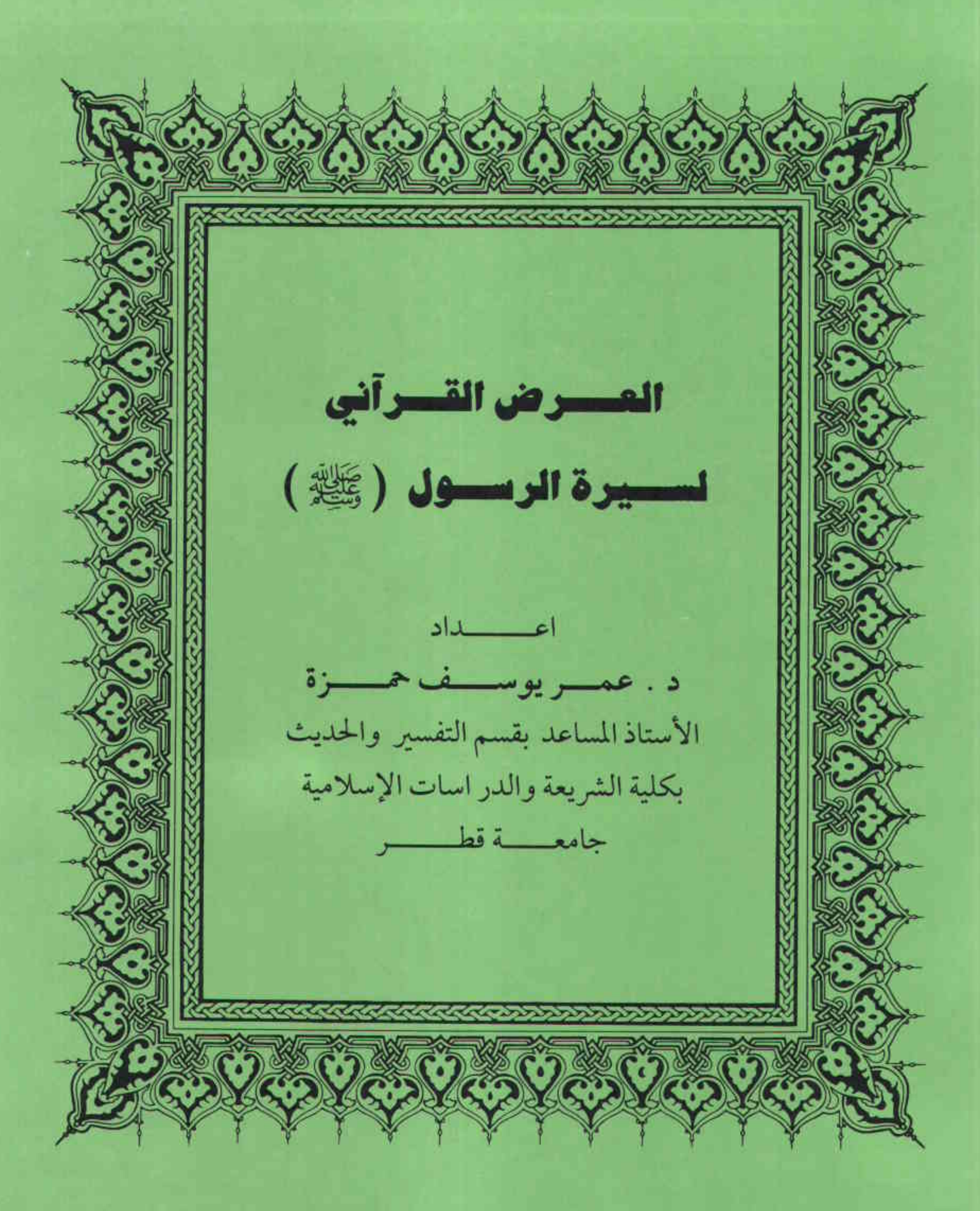


العـــرض القـــرآني

لســيرة الرســول (ﷺ)

اعـــــداد

د . عمـــر يوســـف حمـــزة

الأستاذ المساعد بقسم التفسير والحديث

بكلية الشريعة والدر اسات الإسلامية

جامعـــة قطـــر

بسم الله الرحمن الرحيم

* مقدمة *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين وسيد الأولين والآخرين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، قال تعالى: **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾**(١) وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وبعد:

فإن عرض القرآن الكريم لسيرة رسول الله (ﷺ) من أعظم ما يمكن أن يتناوله المشتغلون بالعلم بالدراسة والتمحيص، واستخراج الدرر واللآلىء التي وردت في كتاب الله تتحدث عن حبيبنا المصطفى (ﷺ)، وقد عُنِيَ القرآن الكريم بسيرة رسول الله (ﷺ) لأن البعثة المحمدية، هي أعظم حدث في تاريخ البشرية، وقد ختم الله تعالى بمحمد أنبياءه وبرسالته أديانه، وأعلن في كتابه العزيز قوله الحق: **﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾**. (٢)

وقد لزم من ذلك أن يتضمن هذا الدين ما يكفل سعادة الإنسان في دنياه وفي آخراه، وأن تكون شريعته صالحة لكل زمان ومكان، وأن يكون ناسخاً لما قبله من الأديان، يستبقي منها ما يصلح، ويلغي سواه، قال تعالى: **﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب، ومهيمناً عليه﴾**. (٣)

والمراد بالكتاب في قوله **﴿وأنزلنا إليك الكتاب﴾**: القرآن، الذي أنزله بالصدق **﴿مصدقاً لما بين يديه من الكتاب﴾** قال ابن عباس: يريد كل كتاب أنزله الله تعالى. (٤)

وفي (المهيمن) أربعة أقوال:

أحدهما: أنه المؤتمن رواه التميمي(٥) عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وعكرمة، وعطاء، والضحاك، وأرباب هذا القول يقولون: المعنى: أن القرآن مؤتمن على ما قبله من الكتب.

والثاني: أنه الشاهد، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن وقتادة.

والثالـث: أنه المصدق على ما أخبر من الكتب، وهذا قول ابـن زيد وهو قريب من القول الأول.

والرابع: أنــه الرقــيب الحــافظ، قال الخليل.(٦)

قال ابن كثير(٧) وقوله تعالى: ﴿**ومهيمناً عليه**﴾ قال ابن عباس: مؤتمنا عليه، وقال: القرآن أمين على كـل كتاب قبله، وروي عـن عكرمـة، وسعيد بن جبير ومجاهـد وغيرهم نحو ذلك.

وقـال ابن جـريج: القـرآن أمين على الكتب المقـدمة قبلـه، فما وافقه منهـا فهو حـق، وماخالفـه منها فهو باطل، وعن ابـن عباس: أي: حاكماً على ما قبله مـن الكتب. وهذه الأقوال كلهـا متقاربـة المعنى، فـإن اسم (المهيمن) يتضمـن هذا كلـه، فهو أمين وشـاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيـم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها وأشملها وأعظمهـا حيث جمع فيه محاسن مـا قبله، وزاده من الكمالات مـا ليس في غيره. ولهذا جعله شـاهداً وأميناً وحـاكماً عليها كلها، وتكفل الله تعـالى حفظه بنفسه الكـريمة، فقال: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾.(٨)

ولقد أنـزل الله هذا الكتاب العظيم على محمـد (ﷺ) هدى للناس: وبينـات من الهدى والفرقان، وخاطبـه الله بقوله: ﴿**ياأيها النبي، إنا أرسلناك شـاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنـه وسراجاً منيراً**﴾.(٩) وقال جل شـأنه: ﴿**وما أرسلناك إلا كـافة للناس بشيراً ونذيـراً**﴾(١٠) وأمره أن يصدع في النـاس بهذه الحقيقة: ﴿**قل ياأيها النـاس، إني رسول الله إليكـم جميعـاً**﴾.(١١) وقـد جاءت البشـائر بـه (ﷺ)، على ألسنـة الأنبياء، في التـوراة والإنجيل، وقد حكى القرآن الكريم مضمون ذلك فقال جل شأنه: ﴿**وإذ قال عيسى ابن مـريم: يـابني إسرائيـل إني رسـول الله إليكم، مصـدقاً لما بين يـدي من التـوراة، ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد**﴾.(١٢)

قال ابن كثير: فعيسى عليـه السلام هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقـد أقام في ملأ بني إسرائيـل مبشراً بمحمـد وهـو أحمد خـاتم الأنبيـاء والمرسلين الـذي لا رسـالـة بعـده ولا نبوة.(١٣)

ومما يؤكد أن من أسماء رسول الله (ﷺ) (أحمد) ما أخرجه الشيخان عن جبير بن مطعم

رضى الله عنـه، قال: قـال رسول الله (ﷺ) : (إن لي أسماء: أنـا محمد ، وأنـا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفـر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قَدَمَي، وأنـا العاقب الذي ليس بعده أحد - واللفظ لمسلم).[14]

وجـاء في التـوراة في سفـر التثنيـة: إن الله تعـالى قال لموسـى عليـه السـلام (قـل لبنـي إسرائيل: إنـى أقيم لهم آخـر الزمان نبيـاً مثلك مـن بني إخوتهم. .) وكـل نبي بعـث بعد موسى كان من بني إسرائيل، وأخرهـم عيسـى، فلم يبق أن يكون من بني إخوتهم إلا نبينا محمد (ﷺ) لأنه من ولد إسماعيل، وإسماعيل أخـو إسحاق، وإسحاق جد بني إسرائيل، فهذه هي الأخوة التي ذكرت في التوراة، ولو كانت هذه البشارة بني من أنبياء بني إسرائيل لم يكن لذكر أخوتهم معنى.[15]

ولقد كان أحبار اليهود والنصارى، يعرفون صدق محمد (ﷺ)، ويرون فيه العلامات المذكورة في كتبهـم، قال تعـالى: ﴿**الذين آتيناهـم الكتاب يعرفونه كما يعرفـون أبناءهم، الذين خسروا أنفسهم فهو لا يؤمنون**﴾.[16]

والمراد بالكتاب في الآية: التوراة والأنجيل، وهذا قول الجمهور.

وفي هاء (يعرفونه) ثلاثة أقوال: -

أحـدهما: أنها ترجع إلى النبي (ﷺ)، قاله السدى، وروي عـن عمر بن الخطاب أنه قال لعبـدالله بن سـلام: إن الله قد أنـزل على نبيه بمكـة ﴿**الـذيـن آتيناهـم الكتـاب يعرفونه كما يعـرفون أبناءهم**﴾[17] فكيف هذه المعرفة؟ فقـال: لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابنى، ولأنا أشد معرفة بمحمد (ﷺ)، مني بابني، فقال عمر: وكيف ذلك؟ فقال: إنى أشهد أنه رسول الله حقاً، ولا أدري ما يصنع النساء.

والثـاني: أنها ترجع إلى الديـن والنبي، فالمعنى: يعرفون الإسلام أنـه دين الله عز وجل، وأن محمداً رسول الله، قاله قتادة.[18]

وقـد أثنى الله تعـالى على بعض أهـل الكتاب الـذين عـرفوا الحق فـاتبعوه وهـو الإيمان بمحمد (ﷺ) فقال تعالى: ﴿ ... **الذين يتبعون الرسول النبي الأمي، الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة، والإنجيل** ... ﴾.[19]

وأما الذين استكبروا وتمسكوا بالباطل، فقد عنفهم الله ووبخهم، بمثل قوله تعالى: ﴿**يا أهل الكتاب، لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون**﴾[٢٠] أي تعلمون أنه حق، وأن نعت النبي (ﷺ) موافق لما في كتبكم، ثم تكفرون به ﴿**يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل، وتكتمون الحق، وأنتم تعلمون**﴾ [٢١] أي لم تخلطون بين الحق والباطل بالقاء الشبه والتحريف والتبديل؟ وتكتمون ما في كتبكم من صفة محمد (ﷺ)، وأنتم تعلمون ذلك. [٢٢]

ثم حكى الله تعالى نوعاً آخر من مكرهم وخبثهم، وهو أن يظهروا الإسلام في أول النهار ثم يرتدوا عنه في آخره، ليشككوا الناس في دين الإسلام. فقال ﴿**وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون**﴾[٢٣] قال ابن كثير: وهذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم، وهو أنهم تشاوروا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار، ويصلوا مع المسلمين فإذا جاء آخر النهار، ارتدوا إلى دينهم، ليقول الجهلة من الناس: إنما ردهم إلى دينهم إطلاعهم على نقيضه وعيب في دين المسلمين!. [٢٤]

وفي هذا العصر، وبعد أن أصاب الإنسانية ما أصابها من العنت، والتردي، في هوة الشقاء والحيرة والتمزق، بسبب بعدها عن الله، وتخبطها بين مناهج الأرض الوضعية، التي لا تزيدها مع الأيام إلا خبالاً وضلالاً.

وبعد أن عجزت الديانات المحرفة - على اختلاف - نحلها - عن هداية اتباعها، فضلا عن هداية الآخرين، وأخفقت الفلسفات الوضعية، التي لم تعد تليق بنضج الإنسان علمياً وعقلياً ومعرفياً، ولا بكرامته كعبد لله لا لغيره من المخلوقين، فضلاً عن كونها لا تشبع له روحاً، ولا تقنع عقلاً، ولا ترضي ضميراً ...

بعد هذا كله ... لم يبق إلا الإسلام ... كلمة الله الأخيرة للبشرية، والوثيقة السماوية الباقية التي لم يتطرق إليها تحريف ولا تبديل. [٢٥]

فمن أراد أن يعرف المنهج العملي للإسلام بخصائصه وأركانه، فليعرفه مفصلاً مجسداً في سيرة رسول الله (ﷺ) وسنته القولية والعلميةوالتقريرية.

إن السيرة النبوية هي التفسير العملي للقرآن، والتطبيق الواقعى والمثالي أيضاً للإسلام، فقد كان النبي (ﷺ) هو القرآن مفسراً والإسلام مجسماً.

وقد أدركت هذا المعنى، أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بفقهها وبصيرتها، ومعايشتها لرسول الله (ﷺ)، فعبرت عن ذلك بعبارة مشرقة بليغة، حين سئلت عن خلق رسول الله (ﷺ)، فقالت (كان خلقه القرآن). [٢٦]

إن الذي يدرس سيرة رسول الله (ﷺ) يجد فيها ما يعينه على فهم القرآن الكريم وتذوق روحه ومقاصده، إذ أن كثيراً من آيات القرآن تفسرها وتوضحها الأحداث التي مرت برسول الله (ﷺ) وموقفه من تلك الأحداث.

عرض القرآن لسيرة رسول الله (ﷺ)

يعتبر القرآن الكريم هـو المصدر الأول لفهم سيرة رسولنا الكريـم صلوات الله وسلامه عليه، لأنه تناول الملامح العامة لحياة النبي الكريم (ﷺ)، وقد عرضها بأحد أسلوبين :-

الأول : سرد بعض مشاهد من حياته وسيرته، عليه الصلاة والسلام.

الثـاني: التعليق على الوقائع والأحداث التي تعرض لرسول الله (ﷺ) وموقفه منها.

أما فيما يتعلـق بالأسلوب الأول فـإننا نجـد القرآن الكريـم يتناول جوانـب من حيـاته ونشأته وسيرته عليه الصلاة والسلام وذلك على النحو التالي :-

أولاً : حديث القرآن عن نشأته عليه الصلاة والسلام :

قال جل شأنه : ﴿**ألم يجدك يتيماً فأوى، ووجدك ضالاً فهدى**﴾ [٢٧] واشتملت هاتان الآيتان على تعداد ما أفاضه الله سبحانه على رسوله (ﷺ) من النعم، أى وجدك يتيماً لا أب لك فآوى : أى جعل لك مأوى تأوي إليه. [٢٨]

وهذا استئناف مسوق مسـاق الدليل على تحقيق الوعد، أي هو وعـد جار على سنن ما سبق من عناية الله بك من مبدأ نشأتـك ولطفه في الشدائد باطراد بحيث لا يحتمل أن يكون ذلك من قبيل الصدف لأن شأن الصدف لا تتكرر فقد علم أن اطراد ذلك مراد لله تعالى.

والمقصود مـن هذا إيقاع اليقين في قلـوب المشركين، بأن ما وعـده الله به محقق الـوقوع قياساً على ما ذكره به من ملازمة لطفـه به فيما مضى وهـم لا يجهلون ذلك، عسى أن يقعلوا عن العنـاد ويسرعوا إلى الإيمان، وإلا فـإن ذلك مسـاءة تبقى في نفـوسهم وأشبـاح رعب تخالج خـواطرهم، ويحصـل مع هذا المقصود امتنـان على النبي (ﷺ)، وتقويـة لاطمئنان نفسه بوعد الله تعالى إياه. [٢٩]

واليتيم : الصبى الذي مات أبوه، وقد كان أبو النبى (ﷺ) توفي وهو جنين في رحم أمه في شهره الثاني من الحمل. [٣٠]

والايـواء : مصدر أوى إلى البيـت، إذا رجـع إليه. فـالايـواء : الارجاع إلى المسكـن، فهمزته الأولى همزة التعـدية، أى جعله آوياً وقد اطلـق الايواء على الكفالة وكفاية الحاجة مجازاً أو استعارة، فالمعنى أنشأك على كمال الادراك والاستقامة، وكنت على تربية كاملة مع

أن شأن الأيتام أن ينشأوا على نقائص، لأنهم لا يجدون من يعنى بتهذيبهم وتعهد أحوالهم الخُلقيّة.

ولقد تولى الله تعالى تربية محمد (ﷺ) وأدبه فأحسن تأديبه وبعثه متمماً لمكارم الأخلاق، فكان تكوين نفسه الزكية على الكمال خيراً من تربية الأبوين.(٣١)

قوله تعالى: ﴿**ووجدك ضالاً فهدى**﴾ فيه ستة أقوال.

أحـــدهما: ضالاً عن معالم النبوة، وأحكام الشريعة، فهداك إليها، قاله الجمهور منهم الحسن، والضحاك.

والثـــاني: أنه ضل وهو صبي صغير في شعاب مكة، فرده الله إلى جده عبد المطلب، رواه أبو الضحى عن ابن عباس.

والثالث: أنه لما خرج مع ميسرة غلام خديجة أخذ إبليس بزمام ناقته فعدل به عن الطريق، فجاءه جبريل، فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى الحبشة، ورده إلى القافلة، فمن الله عليه بذلك، قاله سعيد بن المسيب.

والرابع: أن المعنى: ووجدك في قوم ضُلال، فهداك للتوحيد والنبوة، قاله ابن السائب.

والخامس: ووجدك نسياً فهداك إلى الذكر، ومثله: (أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى)(٣٢) قاله ثعلب.

والسادس: ووجدك خاملاً لا تذكر ولا تعرف، فهدى الناس إليك حتى عرفوك، قاله عبدالعزيز بن يحيى، ومحمد بن علي الترمذي.(٣٣)

والراجح هو القول الأول، ويقرب منه القول الخامس. أما بقية الاقوال فمتكلفة. ولا دليل على صحتها.

وليس المراد بالضلال هنا اتباع الباطل، فان الأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوة باتفاق أهل العلم.(٣٤)

ولم يختلف المحققون من العلماء أن نبينا (ﷺ) لم يصدر منه ماينافي أصول الدين قبل رسالته، ولم يزل العلماء يجعلون ما تواتر من حال استقامته ونزاهته عن الرذائل قبل نبوته دليلاً من جملة الأدلة على رسالته، بل قد شافه القرآن به المشركين بقوله: ﴿**فقد لبثت فيكم**

عمراً من قبلـه أفلا تعقلون﴾ [٣٥] وقولـه : ﴿أم لم يعرفوا رسولهم فهـم له منكرون﴾[٣٦] ولأنه لم يـؤثر أن المشركين أفحمـوا النبي (ﷺ) فيما أنكر عليهـم من مسـاو ىء أعمالهم بأن يقولوا فقد كنت تفعل ذلك معنا . [٣٧]

وقوله تعالى : ﴿ووجدك عائلا﴾ قال أبو عبيدة : أي : ذا فقر ، وأنشد :

وما يدري الفقير متى غناه ... وما يدري الغني متى يعيل[٣٨]

أي يفتقـر ، قال ابـن قتيبـة : العائل : الفقير ، كان لـه عيـال ، أو لم يكـن يقال : عـال الرجل : إذا افتقر ، وأعال : إذا كثر عياله .

قــوله تعــالى : (فأغــنى) قولان :

أحدهما : رضاك بما أعطاك من الرزق ، قاله ابن السائب ، واختاره الفراء . وقال : لم يكن غناه عن كثرة المال ، ولكن الله رضاه بما آتاه . [٣٩]

والـثاني : فأغناك بمال خديجة عن أبي طالب . قـاله جماعة من المفسرين منهم ابن الجوزي والشوكاني وغيرهما . [٤٠]

ويستدل للقـول الأول بما روي البخاري ومسلم في (صحيحيهما) عن أبي هـريرة رضي الله عنه قـال : قال رسـول الله (ﷺ) : (ليس الغنـي عن كثـرة العرض ولكـن الغني غنـي النفس) . [٤١]

وروي مسلم في (صحيحه) عن عبدالله بـن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله (ﷺ) : (قد أفلح من أسلم ، ورزق كفافاً ، وقنعه الله بما آتاه) . [٤٢]

وقيل : وجدك فقيراً من الحجج والبراهين فأغناك بها ، والله أعلم .

والأرجح هو : تفسير الغنى في الآية بما هو المتبـادر منه ، وهو الغني بالمال ، بما يسر الله له من أسبابه ، سواء بمشاركة خديجة ، أم بالزواج منها .

ثانياً : حديث القرآن عن شرح صدره (ﷺ) :

قال الله تعالى : ﴿ألم نشرح لك صدرك، ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك﴾ .(٤٤)

احتوت هذه السورة الكريمة على ذكر عناية الله تعالى لرسوله (ﷺ) بلطف الله له وإزالة الغم والحرج عنه، وتفسير ما عسر عليه، وتشريف قدره لينفس عنه، فمضمونها شبيه بأنه حجة على مضمون سورة الضحى تثبيتاً له بتذكيره سالف عنايته به، وإنارة سبيل الحق وترفيع الدرجة ليعلم أن الذي ابتدأه بنعمته ما كان ليقطع عنه فضله، وكان ذلك بطريقة التقرير بماض يعلمه النبى (ﷺ) واتبع ذلك بوعده بأنه كلما عرض له عسر فسيجد من أمره يسراً كدأب الله تعالى في معاملته فليتحمل متاعب الرسالة ويرغب إلى الله عونه .(٤٥)

قوله تعالى: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ الشرح : الفتح بإذهاب ما يصد عن الإدراك، والله تعالى فتح صدر نبيه للهدى والمعرفة بإذهاب الشواغل التي تصد عن إدراك الحق، ومعنى هذا الاستفهام : التقرير ،أي : قد فعلنا ذلك .(٤٦)

قال ابن كثير: يقول الله تعالى: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ يعني : إنَّا شرحنا لك صدرك، أي نورناه وجعلناه فسيحاً رحيباً واسعاً، كقوله : ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾(٤٧) وكما شرح الله صدره، كذلك جعل شرعه فسيحاً واسعاً سمحاً سهلاً لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق .(٤٨)

ومعلوم أن الاستفهام إذا دخل على النفي قرره كما في هذه الآية ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ فصار المعنى : قد شرحنا لك صدرك، وإنما خص الصدر لأنه محل أحوال النفس من العلوم والإدراكات، والمراد الامتنان عليه (ﷺ)، بفتح صدره وتوسيعه حتى قام بما قال به من الدعوة، وقدر على ماقدر عليه من حمل أعباء النبوة وحفظ الوحي .(٤٩)

ومثل هذا قول الله تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾(٥٠) والمعنى : أي وسعه لقبول الحق وفتحه للإهتداء إلى سبيل الخير، قال السدي: وسع صدره للإسلام للفرح به والطمأنينة إليه، قوله (فويل للقاسية قلوبهم) والمعنى : أفمن وسع الله صدره للإسلام فقبله واهتدى بهديه (فهو) بسبب ذلك الشرح (على نور من ربه) يفيض عليه كمن قسا قلبه لسوء اختياره، فصار في ظلمات الضلالة وبليات الجهالة؟ قال

قتادة : النور كتاب الله بـه يؤخذ وإليه ينتهى . قال الزجاج : تقـدير الآية : أفمن شرح الله صدره كمن طبع على قلبه فلم يهتد لقسوته . (٥١)

والصدر مراد به الاحساس الباطني الجامع لمعنى العقل والإدراك .

وشرح صدره (ﷺ) كناية عن الإنعام عليه بكلُ ما تطمح إليه نفسه الزكية من الكمالات وإعلامه برضى الله عنه وبشارته بما سيحصل للدِّين الذي جاء به من النصر .

هذا تفسير الآية بما يفيده نظـمها واستقلالها عن المرويات الخارجية ، ففسرها ابن عباس بأن الله شرح قلبه بـالإسلام ، وعن الحسن قـال : شرح صدره أي مُلىءَ علماً وحكماً ، وقال سهل بن عبدالله التستري : شرح صدره بنور الرسالة .

وعلى هذا الوجه حمله كثير من المفسرين ، ونسبه ابن عطية إلى الجمهور . (٥٢)

ويجوز أن يجعل الشرح شرحـاً بدنياً ، وروى عـن ابن عباس أنـه فسره به ، وهو ظـاهر صنيع الترمذي ، إذ أخرج حديث شـق الصدر الشريف في تفسير سورة الإنشراح ، فتكون الآيـة إشارة إلى مـرويات في شـق صـدره (ﷺ) شقاً حسيـاً ، وهو المروي بعـض خبره في الصحيحين . والمروي مطـولاً في السيرة والمسـانيـد (٥٣) . فـوقع بعـض الروايـات في الصحيحين أنه كان رؤيا في النوم ، ورؤيا الأنبياء وحي ، وفي بعضها : أنه كان يقظة ، وهو ظاهر ما في البخاري ، وفي صحيح مسلم أنه كـان يقظة وبمرأى من غلمان أترابه ، فقد كان ذلك أثناء وجوده في مضـارب بني سعد من إرهاصات النبـوة ودلائل إختيار الله إياه لأمر جليل ، وقد رويت هذه الحادثة بطرق صحيحة وعن كثير من الصحابة(٥٤) منهم أنـس بن مـالك فيما يـرويـه مسلم في صحيحـه : أن رسـول الله (ﷺ) أتاه جبريـل وهـو يلعب مـع الغلمان ، فأخذه فصرعه ، فشق عن قلبه ، فاستخرجـه ، فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم أعاده إلى مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - مرضعته - ينادون : أن محمداً قد قتل ، فاستقبلوه وهو ممتقع اللون . (٥٥) وجاء في صحيح مسلم - أيضاً - عن أنس بن مالك قال : رأيت أثر الشق ، في جلد صدر النبـي (ﷺ) وفي بعض الـروايات أن النبـي (ﷺ) كـان بين النائم واليقظـان ، والروايـات مختلفة في زمانه ومكانه مع اتفاقها على أنه كان بمكة . (٥٦)

واختلاف الـروايات حمل بعض أهـل العلم على القول بـأن شق صدره الشريـف تكرر

مرتين إلى أربع، منهـا حين كان عند حليمة كما جـاء في صحيح مسلم[٥٧] ، وفي حـديـث عبدالله بن أحمد بن حنبل أن الشق كان وعمر النبي (ﷺ) عشر سنين.[٥٨]

والذي في الصحيـح عن أبي ذر: أنه كان عنـد المعراج به إلى السماء، ولعل بعضهـا كان رؤيا، وبعضها حساً.

قال ابن دحية في معراجه وابن المنير وغيرهما:[٥٩] الصحيح أن شق الصدر مرتان، قال شيخ الإسلام ابن حجر: بل ثلاث مرات، ووقع له (ﷺ) ذلك - أي شق الصدر - ثلاث مرات: الأولى وهو صغير في بني سعد عند مرضعته عند حليمة - رضى الله عنها - الثانية عند البعثة، الثالثة ليلة الإسراء.[٦٠]

وليس في شـيء من هذه الأخبـار على اختلاف مـراتبها ما يـدل على أنه الشرح المراد في الآية، وإذ قد كـان ذاك الشق معجزة خارقة للعـادة يجوز أن يكون مراداً وهو مـا نحاه أبو بكـر بن العـربي في الأحكـام[٦١] وعليه يكـون الصدر قد أطلـق على حقيقته وهو البـاطن الحاوي للقلب.

ومن العلماء فسر الصدر بالقلب. حكاه القاضي عياض في الشفاء[٦٢]. يشير إلى ما جاء في خبر شق الصدر من إخراج قلبه وازالة مقر الوسوسة منه.

وكـلا المعنيين للشرح يفيد أنـه إيقاع معنـى عظيم لنفـس النبي (ﷺ) إمـا مباشرة وإمـا باعتبار مغزاه كما لا يخفى.

وتكرار حادثة شـق صدره الشريف (ﷺ) ثلاث مرات له حكَـمٌ، فالأول كان في زمن طفولته (ﷺ) لينشأ على أكمل الأحوال من العصمـة من الشيطاَن، ثم عند البعث زيادة في إكرامـه ليتلقى ما يوحـى إليه بقلب قـوي في أكمل الأحوال من التطهير، ثـم عند الإسراء ليتأهب للمناجاة.

وقـال العلامـة ابن حجـر: ويحتمل أن تكـون الحكمة في هـذا الغسل لتقـع المبالغـة في الأسباغ لحصول المرة الثالثة، كما هي في شرعه (ﷺ) في الطهارة.[٦٣]

قال الإمـام السيوطـي: وهذه الحكمة مـن أعظم الحكـم وألطفها وأدقهـا، وحقها أن تكتب بماء الذهب على صفحات القلوب لإرتفاع محلها.[٦٤]

وليست الحكمة من هذه الحادثة والله أعلم استئصال غدة الشر في جسم رسول الله (ﷺ) إذ لو كان الشر منبعه غدة في الجسم أو علقة في بعض أنحائه، لأمكن أن يصبح الشرير خيراً بعملية جراحية، ولكن يبدو أن الحكمة هي إعلان أمر الرسول (ﷺ) وتهيئته للعصمة والوحي منذ صغره بوسائل مادية، ليكون ذلك أقرب إلى إيمان الناس به وتصديقهم برسالته، إنها إذاً عملية تطهير معنوي، ولكنها اتخذت هذا الشكل المادي الحسي، ليكون فيه ذلك الإعلان الإلهي بين أسماع الناس وأبصارهم وان كنا لا ننكر أن بين الجسم والنفس، أو الظاهر والباطن تبادلاً ملحوظاً في التأثير والتأثر.

وأياً كانت الحكمة، فلا ينبغي - وقد ثبت الخبر ثبوتاً صحيحاً - محاولة البحث عن مخارج لنخرج منها، بهذا الحديث عن ظاهره وحقيقته إلى التأويلات الممجوجة البعيدة المتكلفة، ولن تجد من مسوغ لمن يحاول هذا - رغم ثبوت الخبر وصحته - إلا ضعف الإيمان بالله تعالى. (٦٥)

ثالثاً : بدء نزول الوحى كما يصوره القرآن الكريم:

قال الله تعالى : ﴿ **ياأيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر، وثيابك فطهر** ﴾ (٦٦). سبب نزول هذه الآيات جاء في الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال : حدثنا رسول الله (ﷺ) قال : جاورت بحراء شهراً، فلما قضيت جواري (٦٧) نزلت فاستبطت بطن الوادي(٦٨) فنوديت، فنظرت أمامي، وخلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فلم أر أحداً، ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو في الهواء (يعني جبريل عليه السلام) فأقبلت إلى خديجة، فقلت : دثروني دثروني ، فأنزل الله عز وجل ﴿**يأيها المدثر، قم فأنذر**﴾ . (٦٩)

قال المفسرون : فلما رأى جبريل وقع مغشياً عليه، فلما أفاق دخل إلى خديجة، ودعا بماء فصبه عليه، وقال دثروني، فدثروه بقطيفة، فأتاه جبريل فقال : ﴿**ياأيها المدثر**﴾ . (٧٠)

روي البخاري عن السيدة عائشة – رضي الله عنها – تصف كيفية بدء الوحي وتقول :

(أول ما بدىء – رسول الله (ﷺ) – الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، . وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال له إقرأ، فقال ما أنا بقاريء، قال فأخذني فغطني حتي بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال إقرأ : فقلت ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : ﴿**إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم**﴾(٧١) فرجع بها رسول الله (ﷺ) يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها – فقال : زملوني، زملوني حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة : كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتتِ به ورقة بن نوفل بن أسد ابن عبدالعزي، وكان ابن عم خديجة، وكان أمرأ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الأنجيل في العبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة : ياأبن عم، اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : ياابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله (ﷺ) خبر ما رأى فقال له ورقة : هذا الناموس (أي جبريل أو الوحي) الذي نزل على موسى ياليتني فيها جذعاً (شاباً قوياً) ليتني أكون حياً،

إذ يخرجك قومك[٧٢]، فقال رسول الله (ﷺ) أو مخرجي هم؟ قال نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم يلبث ورقة أن توفى وفتر الوحي.[٧٣]

واختلف في الزمن الذي فتر فيه الوحي فقيل ثلاث سنوات، وقيل أقل من ذلك والراجح ما رواه البيهقي من أن المدة كانت ستة أشهر، ثم روي البخاري عن جابر بن عبدالله قال وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس علي كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه، فرجعت فقلت زملوني، زملوني[٧٤]، فأنزل الله عز وجل: ﴿**ياأيها المدثر قم فأنذر** - إلى قوله - : **والرجز فأهجر**﴾ فحَمِي الوحي وتواتر.[٧٥]

رابعاً : عرض القرآن لمراحل الدعوة :

الدعوة الإسلامية مرت بأربع مراحل :

أ - **المرحلة الأولى** : الدعوة سراً ، واستمرت ثلاث سنوات .

ب - **المرحلة الثانية** : الدعوة جهراً وباللسان فقط دون قتال ، ونزل القرآن الكريم ، يأمر الرسول (ﷺ) أن يجهر بالدعوة في قوله تعالى : **﴿فأصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾** .(٧٦)

قال ابن عباس : فامض لما تؤمر ، وقال موسى بن عبيدة : مازال رسول الله (ﷺ) مستخفياً حتى نزلت هذه الآية ، فخرج هو وأصحابه(٧٧) . وأمر الله تعالى رسوله (ﷺ) بقوله : **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، فإن عصوك فقل إني بريء مما تعلمون ، وتوكل على العزيز الرحيم ، الذين يريك حين تقوم ، وتقلبك في الساجدين﴾** .(٧٨)

واستجاب الرسول (ﷺ) لأمر ربه وقام بتنفيذه ، فصعد على جبل الصفا فجعل ينادي ، يابني فهر ، يابني عدي ، واكتنفه الناس من كل جانب ، فقال لهم بعد أن بين لهم ما كان عليه قبل هذه الدعوة : (فإني نذير لكم بين عدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تباً لك سائر اليوم . . ألهذا جمعتنا ، فنزل قوله تعالى : **﴿تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنهُ مَالُهُ وما كسبَ ، سيصلى ناراً ذاتَ لهبٍ ، وامرأته حمالةَ الحطبِ ، في جِيدِهَا حبلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾** . وهذا رواه الشيخان .(٧٩)

جـ - **المرحلة الثالثة** : الدعوة جهراً ، مع الأذن للمسلمين بقتال الذين آذوهم واعتدوا عليهم ، وأخروجهم من ديارهم بغير حق ، إلا أن يقولوا ربنا الله واستمرت هذه إلى عام صلح الحديبية .(٨٠)

د - **المرحلة الرابعة** : الدعوة جهراً مع قتال كل من وقف في سبيل الدعوة من المشركين أو الملاحدة أو المحرفين من أهل الكتاب ، وكانت هذه المرحلة هي التي استقر عليها أمر الشريعة الإسلامية ، وحكم الجهاد في الإسلام كما بينته سورة التوبة .(٨١)

وهذه المراحل تحتاج الى وقفات متأنية للدراسة والتحليل لا يتسع لها هذا البحث وخصوصاً تعقيب القرآن على الغزوات الكبرى كبدر وأحد والأحزاب والحديبية ، واجلاء اليهود وغيرها .

خامساً : آيـات العـتاب التـي تبيـن جزءاً مـهماً من سـيرته علـيه الصـلاة والسـلام :

وسوف أكتفي بذكر بعض الأمثلة فيما يتعلق بآيات العتاب : -

المثـال الأول: قال الله تعـالى : **﴿ما كان لنبي أن يكـون له أسرى حتى يُثْخنَ في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبَق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾** . (٨٢)

روي مسلم في أفراده من حديث عمر بـن الخطاب قال : لما هزم الله المشركين يوم بدر، وقتل منهم سبعـون وأسر منهم سبعون، استشار النبـي (ﷺ) أبا بكر وعمر وعليـاً، فقال أبو بكر : (يانبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والأخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا علي الكفـار، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضداً، فقال رسول الله (ﷺ) : ماترى يـاابن الخطاب؟ قلت : والله ماأرى مارأي أبـو بكر، ولكن أرى أن تمكنني من فلان، قـريب لعمر، فأضرْب عنقه، وتمكن عليـاً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكـن حمزة مـن أخيه فـلان فيضرب عنقـه، حتى يعلـم الله أنـه ليس في قلـوبنـا هـوادة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم، فهوى رسول الله (ﷺ) ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، فأخذ منهم الفداء، فلما كـان من الغد ، غدوت إلى رسول الله (ﷺ) فإذا هو قاعد وأبـو بكر الصديق وهما يبكيان، فقلت : يارسـول الله، أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت. وإن لم أجـد بكاءً تباكيت ، فقال النبي (ﷺ) (أبكى للذي عرض عليَّ أصحابـك من الفداء، لقد عُرض عليَّ عذابكم أدنـى من هذه الشجرة) لشجرة قريبة، فأنزل الله **﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى﴾** إلى قوله **﴿عظيم﴾** . (٨٣)

ومعنى قوله : هوى رسول الله ما قاله أبو بكر : أن رسول الله أحب واختار ذلك، لأنه من اليسر والـرحمة بالمسلمين، إذ كانوا في حـاجة إلى المال، وكان رسـول الله (ﷺ) ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما . (٨٤)

وروي أن ذلك كان رغبـة أكثرهم، وفيه للمسلمين قوة، وهـم في حاجة إلى المال، ولما استشار رسـول الله (ﷺ) أهل مشـورته تعين أنـه لم يوح الله إليـه شيء في ذلـك، وأن الله أوكـل ذلك إلى اجتهـاد رسـوله ، (ﷺ) فـرأى أن يستشير الناس ثـم رجـح أحد الـرأيين باجتهاد، وقد أصـاب الاجتهاد، فإنهم قد أسلم منهم حينئذ : سهيـل بن بيضاء، وأسلم

مـن بعد العبـاس وغيره، وقد خفـي على النبـى (ﷺ) شيء لم يعلمه إلا الله. وهـو إضمار بعضهم - بعد الرجوع إلى قومهم - أن يتأهبوا لقتال المسلمين من بعد.

وربما كانـوا يضمرون اللحـاق بفل المشركين مـن موضـع قريـب ويعودون إلى القتـال فينقلب انتصار المسلمين هزيمة كما كان يوم أحد، فـلأجل هذا جاء قوله تعالى: ﴿**ماكـان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض**﴾.

قال ابـن العربي في العـارضة: روي عبيدة السلماني عـن علي أن جبريل أتـى رسـول الله (ﷺ) يـوم بدر فخيره بين أن يقـرِّب الأسارى، فيضرب أعنـاقهم أو يقبلـوا منهم الفـداء ويقتل منكم في العام المقبـل بعدتهم، فقال رسـول الله (ﷺ) هذا جبريل يخبركـم أن تقدموا الأسـارى وتضربـوا أعناقهـم أو تقبلـوا منهـم الفـداء، ويستشهـد منكم في العـام المقبـل بعدتهم، فقـالوا: يـارسول الله نأخـذ الفداء فنقـوى على عدونا ويقتـل منَّا في العـام المقبل بعدتهم، ففعلوا. (٨٥)

والكلام عتاب للذين أشاروا باختيار الفـداء والميل إليه وغض النظر عن الأخذ بالحزم في قطع دابـر صناديـد المشركين، فإن في هـلاكهم خضـداً لشوكـة قومهـم، فهذا تـرجيح للمقتضى السياسى الفـرضي على المقتضى الذي بني عليه الإسلام وهـو التيسير والرفق في شؤون المسلمين بعضهم مع بعض كما قال تعالى: ﴿**أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾(٨٦) وقد كان هذا المسلك السياسى خفياً حتى كأنه مما استأثر الله به.

والخطاب في قـوله: ﴿**تريـدون**﴾ للفريق الذين أشاروا بـأخذ الفداء وفيه إشارة إلى أن الرسول (ﷺ) غير معاتب لأنه إنما أخذ برأي الجمهور. (٨٧)

قوله تعالى: ﴿**لولا كتاب من الله سبق**﴾ في معناه خمسة أقوال:

أحـدهما: لولا أن الله كتب في أم الكتـاب أنه سيحل لكم الغنائم لمسكـم فيما تعجلتم من المغانم والفداء يـوم بدر قبل أن تؤمروا بذلك عذاب عظيـم. قال بهذا ابن عباس وغيره.

والثـاني: لولا كتـاب من الله سـبق أنه لا يعـذب من أتى ذنب على جهالة لعوقبتم. روي هذا المعنى عطـاء عن ابن عباس، وقـال ابن اسحاق: سبق أن لا أعـذب إلا بعد النهي، ولم يكن نهاهم.

والثـالث : لولا ما سبق لأهل بدر أن الله لا يعذبهم، لعذبتم، قاله الحسن وابن جبير.

والرابـع : لولا كتاب من الله سبق من أنه يغفر لمن عمل الخطايا ثم علم ما عليه فتاب.

والخامس : لولا القرآن الذي اقتضى غفران الصغائر، لعذبتم، ذكره الماوردي.

وفـي المـراد (بالكتـاب) قـولان: -

١ - أنه كتاب مكتوب حقيقـة، ثم فيه قولان، أحدهما أنه مـا كتبه الله في اللوح المحفوظ،
والثاني: أنه القرآن.

٢ - أنـه بمعـنى القضـاء.[٨٨]

المثال الثـاني : على آيات العتاب ما جـاء في قول الحق تعالى: ﴿**عبسى وتـولى أن جاءه الأعمى، وما يدريك لعله يزكى** - إلى قوله تعالى: **فأنت عنه تلهى**﴾.[٨٩]

قال المفسرون: كان رسول الله (ﷺ) يوماً يناجي عتبة بن ربيعة، وأبا جهل ابن هشام، وأمية وأبياً ابني خلـف، ويدعوهم إلى الله تعالى، ويرجو إسلامهـم، فجاءه ابن أم مكتوم الأعمى، فقال: علمنـي يارسول الله مما علمـك الله، وجعل يناديه، ويكـرر النداء، ولا يـدري أنه مشتغـل بكـلام غيره، حتى ظهـرت الكـراهية في وجهـه (ﷺ) لقطعـه كلامـه فأعـرض عنه رسـول الله (ﷺ) وأقبل على القوم يكلمهـم، فنزلـت هذه الآيـات، فكان رسول الله (ﷺ) يكرمه بعد ذلك، ويقول مرحباً بمن عاتبني فيه ربي.[٩٠]

المثال الثالث : ومن آيات العتاب قوله تعالى: ﴿**وإذ تقولُ للذي أنعمَ اللهُ عليه وأنعمت عليك أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه، فلما قضـى زيد منها وطراً زوجنـاكها لكي لا يكـون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا**﴾.[٩١]

قوله تعالى: ﴿**واتق الله**﴾ أي في أمرها فلا تطلقها (وتخفي في نفسك) أي تُسرِ ُّ وتضمر في قلبك (ما الله مبديه) أي: مظهره، وفيه أربعة أقوال:

أحدهما : حبها، قاله ابن عباس.

والثـاني : عهد عهده الله إليه أن زينب ستكون له زوجـة، فلما أتى زيد يشكوها، قال له: (أمسك عليـك زوجك واتـق الله) وأخفى في نفسـه ما الله مبـديه، قـاله علي بـن

الحسين. [٩٢]

والثالث: إيثاره لطلاقها، قاله قتادة، وابن جريج، ومقاتل.

والرابع: أن الذي أخفاه: إن طلقها زيد تزوجتها، قاله ابن زيد. [٩٣]

قوله تعالى: ﴿**وتخشى الناس**﴾ فيه قولان:

١ - أنه خشي اليهود أن يقولوا: تزوج محمد امرأة ابنه، روى عن عباس.

٢ - أنه خشي لوم الناس أن يقولوا: أمر رجلا بطلاق أمرأته، ثم نكحها.

قوله تعالى: ﴿**والله أحق أن تخشاه**﴾ أي أولى أن تخشى في كل الأحوال. وليس المراد أنه لم يخش الله في هذه الحال، ولكن لما كان لخشيته بالخَلْق نوع تعلق، قيل له: الله أحق أن تخشى منهم، قالت عائشة: ما نزلت على رسول الله (ﷺ) آية هي أشد عليه من هذه الآية، ولو كتم شيئاً من الوحي لكتمها. [٩٤]

أخرج مسلم في صحيحه عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ولو كان محمد - (ﷺ) كاتماً شيئاً مما أنزل عليه لكتم هذه الآية: ﴿**وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**﴾. [٩٥]

قال الحافظ ابن كثير: في تفسير هذه الآية ﴿**وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس، والله أحق أن تخشاه**﴾: ذكر ابن أبي حاتم والطبري ها هنا آثاراً عن بعض السلف - رضي الله عنهم - أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها. أهـ. [٩٦]
يريد بذلك أمثال (فوقعت في قلبه، وسبحان مقلب القلوب). [٩٧]

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: بعدما ذكر أن هذه الآية نزلت في شأن زينب بنت جحش، وزيد بن حارثة مختصراً كما في حديث البخاري، ثم ذكر حديثاً للبخاري في كتاب التوحيد أطول منه. وليس فيها ما تقدم من أنها وقعت في قلبه، وغير ذلك، قال: وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة من طريق السدي فساقها سياقاً واضحاً حسناً وأورد القصة ابن أبي حاتم كما يلي:

(بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش، وكانت أمها أميمة بنت عبدالمطلب

عمة رسول الله (ﷺ) وكان رسول الله (ﷺ) أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه، فكرهت ذلك، ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله (ﷺ) فزوجها أياه، ثم أعلم الله عز وجل نبيه (ﷺ) بعد، أنها من أزواجه، فكان يستحي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس، فأمره رسول الله (ﷺ) أن يمسك زوجه وأن يتقي الله، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا: تزوج أمرأة ابنه وكان قد تبنى زيداً.

ثم قال ابن حجر: وردت آثار أخرى أخرجها ابن أبي حاتم، والطبري، ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها، قال: والذي أوردته هو المعتمد، ثم قال: والحاصل أن الذي كا يخفيه النبي (ﷺ) هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته. قال: والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس: تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمر لا أبلغ في الإبطال منه.

وهو تزوج امرأة الذي يدعي ابناً، قال: ووقوع ذلك من إمام المسلمين، ليكون أدعى لقبولهم، قال: وإنما وقع الخبط في تأويل متعلق الخشية، والله أعلم.(٩٨)

وقال الألوسي في (تفسيره): وللقصاص في هذه القصة كلام لا ينبغي أن يجعل في القبول، منه ما أخرجه ابن سعد والحاكم عن محمد بن يحيى بن حبان، ثم قال: في (شرح المواقف): أن هذه القصة مما يجب صيانة النبي (ﷺ) عن مثله.(٩٩)

قال الحافظ ابن حجر في (الفتح): روى أحمد، ومسلم، والنسائي، من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال: لما انقضت عدة زينب، قال رسول الله (ﷺ) لزيد: (أذكرها عليَّ) قال: فانطلقت، فقلت: يازينب أبشري أرسل رسول الله (ﷺ) يذكرك، فقالت: ما أنا بصانعة، حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله (ﷺ) حتى دخل عليها بغير إذن، قال ابن حجر: وهذا أيضاً من أبلغ ما وقع في ذلك، وهو أن يكون الذي كان زوجها هو الخاطب، لئلا يظن أحد أن ذلك وقع قهراً بغير رضاه، قال: وفيه أيضاً إختيار ما كان عنده منها، هل بقي منه شيء، أم لا؟ وفيه استحباب فعل المرأة الاستخارة، ودعائها عند الخطبة، قبل الإجابة، وأن من وكل أمره إلى الله عز وجل يسر الله له ما هو الأحظ له، والأنفع دنيا وأخرى. أهـ.(١٠٠)

* شبهة وردها حول زواج النبي (ﷺ) من زينب بنت جحش - رضـــي الله عنـــها :

إن المطلع على كتب التفسير يجد كثيراً منها حملت آراء وذكرت أقوالاً اتخذت فيما بعد منطلقاً لكثير من الشبهات والشكوك التي تطعن في الإسلام، وترمي بالنقيصة أكمل الخلق وسيد الأنام نبينا محمد (ﷺ)، وتشويه سيرته الشريفة، من ذلك أقوال تضمنتها تفاسير الطبري والزمخشري، والنسفي، ومن نحا نحوهم حول الآية الكريمة.

﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله - إلى قوله: وكان أمر الله مفعولا﴾.(١٠١)

فقد ذكرت هذه التفاسير: أن نبينا (ﷺ) رأى زينب بنت جحش وهي تحت زيد بن حارثة على حالة جعلت قلبه يتعلق بها، ويود لو فارقها زيد فيتزوجها، وخشي أن يقول الناس: أمر رجلاً بطلاق امرأته، ونكحها حين طلقها والله أحق أن يخشاه من الناس.(١٠٢)

وفي هذا طعن على الرسول الكريم (ﷺ) فتح الباب لأعداء الإسلام والساعين للنيل منه من المستشرقين والمبشرين ومن تتلمذ عليهم من أبناء المسلمين، فاتخذوه دعامة لتجنيهم وتصايحهم وهاك ما ذكره ابن جرير الطبري في تفسير الآية.

قال: يقول تعالى ذكره لنبيه (ﷺ) عتاباً من الله له واذكر يامحمد إذ تقول للذي أنعم الله عليه بالهداية، وأنعمت عليه بالعتق، يعني زيداً بن حارثة مولي رسول الله، أمسك عليك زوجك واتق الله، وذلك أن زينب بنت جحش فيما ذكر رآها رسول الله (ﷺ) فأعجبته، وهي في حبال مولاه.

فألقى في نفس زيد كراهتها، لما علم الله مما وقع في نفس نبيه ما وقع، فأراد فراقها، فذكر ذلك لرسول الله (ﷺ) زيد، فقال له رسول الله: أمسك عليك زوجك، وهو (ﷺ) يحب أن تكون قد بانت منه لينكحها، «واتق الله» وخف الله في الواجب له عليك في زوجتك (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) يقول: وتخفي في نفسك محبة فراقه إياها لتتزوجها إن هو فارقها، والله مبد ما تخفي في نفسك من ذلك.

﴿وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ وتخاف أن يقول الناس أمر رجلاً بطلاق امرأته،

ونكحها حين طلقها، ﴿والله أحق أن تخشاه﴾ من الناس، روي عن ابن وهب قوله: قال ابن زيد: كان النبي (ﷺ) قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ابنة عمته، فخرج رسول الله (ﷺ) يوما يريده، وعلى الباب ستر من شعر، فرفعت الريح الستر فانكشف وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي (ﷺ) فلما وقع ذلك كرهت الآخر، فجاء فقال: يارسول الله، إني أريد أن أفارق صاحبتي، قال: مالك، أرابك منها شيء؟ قال: لا والله ما رابني منها شيء يارسول الله ولا رأيت منها إلا خيراً، فقال له رسول الله (ﷺ) أمسك عليك زوجك واتق الله.[103]

وقال الزمخشري: إن رسول الله (ﷺ) أبصر زينب بعد ما أنكحها زيداً فوقعت في نفسه، فقال: سبحان الله مقلب القلوب، وذلك أن نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها، ولو أرادها لاختطبها، وسمعت زينب بالتسبيحة، فذكرتها لزيد، ففطن، وألقى الله في نفسه كراهة صحبتها، والرغبة عنها لرسول الله (ﷺ) فقال لرسول الله: إني أريد أن أفارق صاحبتي، فقال مالك أرابك منها شيء؟ قال: لا والله ما رأيت منها إلا خيراً، ولكنها تتعظم عليَّ لشرفها وتؤذيني، فقال له: أمسك عليك زوجك واتق الله.

ثم يقول: ما أراد بقوله: (واتق الله) قلت: أراد واتق الله فلا تطلقها، وقصد نهي تنزيه لا تحريم، لأن الأولى أن لا يطلق، وقيل أراد: واتق الله فلا تذمها بالنسبة إلى الكبر وأذى الزوج.

فإن قلت: ما الذي أخفى في نفسه؟ قلت: تعلق قلبه بها، وقيل مودة مفارقة زيد إياها، وقيل: علمه بأن زيداً سيطلقها وسينكحها لأن الله قد أعلمه بذلك.[104]

وقال بمثل قول الزمخشري النسفي في تفسيره[105]. وقال بنحوه الخطيب الشربيني، والنيسابوري والواحدي، ومحمد نووي الجاوي، ويظهر من أقوال هؤلاء المفسرين أنهم ينسبون إلى النبي (ﷺ) ما يلي: -

١ - تعلق قلب النبي (ﷺ) بزينب بنت جحش - رضي الله عنها - عندما رآها في ثياب تكشف عن محاسنها وجمالها، وأنه لهذا تمناها لنفسه وود لو يطلقها زيد فيتزوجها.

٢ - أنه أخفى في نفسه أمراً وأظهر خلافه، أخفى محبتها، والرغبة في طلاقها من زيد ليتزوجها، وأظهر الحرص على بقائها مع زيد بقوله: أمسك عليك زوجك وخشي

أن يقول الناس أمر رجلاً بطلاق امرأته ونكحها حين طلقها ، وكان عليه أن يخشى الله وحده، وليس الناس . (١٠٦)

ولبيان الحق الذي يليق بالرسول (ﷺ) وينزه ساحته الشريفة عن هذه المسألة ، نذكر الحقائق الناصعة التالية : -

أولاً : إن الرسول (ﷺ) ليس ممن يفتنون بالنساء أو يميل قلوبهم رؤية الجميلات، أو يتزوج لمجرد الشهوة .

وثانياً: موقف الرسول من زواج زيد بزينب خاصة ، فزينب بنت جحش ابنة عمة الرسول (ﷺ) أميمة بنت عبد المطلب، ربيت على مرأى من الرسول ومسمع ، فكان يعرفها حق المعرفة ، قبل أن تتزوج زيداً ، وما كان يخفى عليه ما تتمتع به من جمال فلو كان جمال المرأة يبهر الرسول ، ويميل قلبه ، لخطبها لنفسه ، وتزوجها ، ولكنه ليس كغيره من الرجال الذين يفتنون بالجميلات ، ولذا خطبها لمولاه ، ومتبناه زيد بن حارثة فاستنكفت وقالت : أنا خير منه حسباً ، وأبي أخوها عبدالله بن جحش معللاً بأن زيداً ليس كفؤاً لها ، ولكن الرسول (ﷺ) أصر على الزواج ، لتزول الاعتبارات القائمة على العصبية وحدها ، ويدرك الناس جميعاً أن : لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ، وهو يرى أن يبدأ هذا على ابنة عمته . ونزل القرآن مؤيداً للرسول (ﷺ) قال تعالى : ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً**﴾ . (١٠٧)

ولم يكن أمام عبدالله وأخته زينب بعد نزول هذه الآية إلا الإذعان ، فقالا : رضينا يارسول الله ، وبنى زيد بزينب . (١٠٨)

ثالثاً: الأمر الذي أخفاه الرسول وأظهر خلافه ، وخشي فيه الناس ، هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه وهذا هو الأصح . (١٠٩)

* الحكمة من زواج النبي (ﷺ) من السيدة زينب بنت جحش رضى الله عنها:

تزوجها الرسول (ﷺ) وهي ابنة عمته، وكان قد تزوجها (زيد بن حارثة) ثم طلقها، فتزوجها الرسول (ﷺ) لحكمة لا تعلوها حكمة، في زواج أحد من أزواجه، وهي إبطال (بدعة التبني) وقد بينت هذه الحكمة الآية الكريمة في قول الله تعالى: **﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها، لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً﴾**.(١١٠)

فالآية الكريمة اشتملت على الرد الشافي الحاسم، على دعاوي المغرضين الحاقدين على الإسلام، وعلى نبي الإسلام من المستشرقين والمبشرين وأذنابهم المارقين، الذين اتخذوا من قصة تزوج النبي (ﷺ) من السيدة زينب - رضي الله عنها - منفذاً للطعن في النبي (ﷺ) وقد لفقوا الشبه والأباطيل، بسبب بعض الروايات الإسرائيلية، التي ذكرت في بعض كتب التفاسير.(١١١)

يقو ل الإمام ابن العربي: رداً على هذه الدعوة الأثيمة: فأما قولهم إن النبي (ﷺ) رآها فوقعت في قلبه فباطل، فإنه كان معها في كل وقت وموضع، ولم يكن حينئذ حجاب، فكيف تنشأ معه وينشأ معها، ويلحظها في كل ساعة، ولا تقع في قلبه إلا إذا كان لها زوج، قد وهبته نفسها، فكيف يتجدد له هوى لم يكن، حاشا لذلك القلب المطهر من هذه العلاقة الفاسدة، وقد قال الله له: **﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه﴾**(١١٢) وقد تعقب الإمام ابن العربي - رحمه الله تعالى - تلك الروايات الإسرائيلية وبين أنها كلها ساقطة الأسانيد.(١١٣)

المثال الرابع: امتناع الرسول (ﷺ) من المباح لإرضاء زوجاته رضى الله عنهن:

قال الله تعالى: **﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم﴾**(١١٤) فهم البعض من عتاب الله نبيه على أن حرم على نفسه ما أحله الله له ابتغاء مرضاة أزواجه أنه ارتكب ذنباً.(١١٥)

قال الزمخشري: كان هذا ما حرمه الرسول على نفسه من ملك اليمين أو العسل زلة منه، لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله، لأن الله عز وجل إنما أحل ما أحل لحكمة

ومصلحة عرفها في إحلاله، فإذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة.(١١٦)

رد هـذه الشبهة التـي آثـارها الزمخشـري:

لرد هذه الشبهة لابد من ذكر السبب الذي من أجله أنزل الله تعالى الآيات حتى يتبين لنا ما حرمه الرسول على نفسه مما كان حلاله، ورأفة الرسول (ﷺ) وتلطفه في معاملة زوجاته حتى كان يرضيهن بما يشق على نفسه فنقول:

* سبب نزول الآيات حادثتان حدثتا بين أزواج النبي (ﷺ):

إحداهما: ما ثبت في الصحيحين عن عائشة قالت: كان رسول الله (ﷺ) يحب الحلواء والعسل(١١٧)، وكان إذا انصرف من صلاة العصر دخل على نسائه، فدخل على حفصة بنت عمر، واحتبس عندها، فسألت عن ذلك فقيل: أهدت لها امرأة من قومها عُكّة من عسل(١١٨)، فسقت رسول الله (ﷺ) فقلت: أما والله لنحتالن له(١١٩). فقلت: لسودة: إنه سيدنو منك إذا دخل عليك، فقولي له: يارسول الله أكلت مغافير، فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل، فقولي: جَرَسَتْ نَحْلُهُ العُرفُطَ(١٢٠) وسأقول ذلك، وقولي أنت ياصفية ذلك، فلما دار إلى حفصة قالت له: يارسول الله أسقيك منه؟ قال: لا حاجة لي فيه، قالت: تقول سودة سبحان الله، والله لقد حرمناه(١٢١)، قلت لها: أسكتي.(١٢٢)

هذا أصح ما روي في سبب نزول هذه الآيات، والتحريم هو قوله: (ولن أعود له) (لأن النبي «ﷺ» لا يقول إلا صدقاً وكانت سودة تقول لقد حرمناه).

وقد اختلف في اسم أم المؤمنين التي سقت رسول الله (ﷺ) العسل، فقيل: زينب بنت جحش، وقيل: حفصة، أو أم سلمة، أو سودة بنت زمعة والأصح انها زينب، فعلمت بذلك عائشة فتواطأت هي وحفصة، على القول المتقدم في الحديث، وكان (ﷺ) يكره أن توجد منه رائحة، وإنما تواطأتا على ذلك غيرة منهما أن يحتبس عند زينب زماناً يشرب فيه عسلاً، فدخل على حفصة فقالت له ذلك. أي (إني أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير) فقال: بل شربت عسلاً عند فلانه، ولن أعود له، أراد بذلك استرضاء حفصة في الشأن، وأوصاها أن لا تخبر بذلك عائشة (لأنه يكره غضبها) فأخبرت حفصة عائشة فنزلت الآيات.(١٢٣)

والثانيـة : ما رواه ابن القاسم في المدونة عن مالك عن زيد بن أسلم قال: حرم رسول الله أم ابراهيـم جاريته فقـال: (والله لا أطؤك) ثم قـال: (هي عليَّ حرام) فـأنزل الله تعـالى **﴿ياأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لـك تبتغي مرضات أزواجك﴾** وتفصيـل هذا الخبر مـا رواه الدارقطني (عن ابن عبـاس عن عمـر قال: دخـل رسـول الله (ﷺ) بأم ولده مارية في بيت حفصة فوجدته حفصة معها، وكانت حفصة غابت إلى بيت أبيها، فقالت حفصة: تدخلها بيتي ما صنعت بي هذا من بين نسائك إلا من هواني عليـك. فقال لها: لا تذكرى هـذا لعائشة فهي عليَّ حـرام إن قربتها. قيـل: فقالـت له حفصـة: كيف تَحْرُمُ عليـك وهي جـاريتك، فحلـف لها أن لا يقربها فـذكرته حفصـة لعائشة. فـآلى أن لا يدخـل على نسائه شهراً، فـأنزل الله تعالى: **﴿ياأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾** وهو حديث ضعيف .[١٢٤]

وهنـاك قول ثـالـث: بأن الآيـة نزلت في المرأة التي وهبـت نفسها للنبى (ﷺ) فلـم يقبلها إرضاء لأزواجه. رواه ابن أبي حاتـم بسنده عن ابن عباس[١٢٥] .
وقد ضعـف العلماء هذا القول: قال ابـن كثير: وهذا قول غـريب.
كذا ضعفه ان العربي.[١٢٦]

ولهذا فـالقول الثـالث بعيـد وضعيف، ويبقـى معنا القـولان: الأول تحريم العسـل، والثاني وهو تحريم مارية.

أمـا الأول : فـإن رواياتـه وردت في الصحيحين، وأمــا الثـاني : فـرويــاتـه في غير الصحيحين، ولهذا يرجح القاضي عياض أن الآيـة في قصة العسل، كما أن النسائي يصف إسناد عائشة في العسل بأنه جيد في غاية الصحة.[١٢٧]

فإمتناع الرسول (ﷺ) عما يحبه وتعرضه لما يشق عليـه من أجل إرضاء زوجاته كان أمراً معهوداً منه، إلا أن الأولى بالنسبة للشيء الذي امتنع منه هنا عدم الامتناع منه، ترك الأولى وامتنع عنـه عوتـب عليه نظـراً لسمو مقـامه وعـد الزمخشري هـذا الفعل منـه (ﷺ) زلة، وتعليله بما علل به زلـة من الزمخشري نفسه، ولهذا رد عليه ابن المنير في الانتصـاف بقوله: (ماأطلقه الزمخشري في حق النبي (ﷺ) تقول وافتراء والنبـي منه براء، وذلك أن تحريم ما أحله الله على وجهين:

الأول : اعتقاد ثبوت حكم التحريم فيه، فهذا بمثابة اعتقاد حكم التحليل فيما حرمه الله، وكـلاهما محظور لا يصـدر من المتسمين بسمـة الإيمان، وإن صـدر سلب المؤمـن حكم الإيمان.

الثاني : الإمتناع مما أحله الله عز وجل كقوله تعالى: ﴿**وحرمنا عليه المراضع من قبل**﴾(١٢٨) أي منعنا لا غير، وقد يكـون مؤكدا باليمين مع اعتقاد حلـه ، وهذا مباح صرف وحلال محض.

ثم يقول: فعلى القسم الثاني تحمل الآيـة، والتفسير الصحيح يعضده، فإن النبي (ﷺ) حلف أن لا يشرب العسل، أو لا يقرب مارية، ولما نزلت الآية كفر عن يمينه، ويدل عليه قوله تعالى ﴿**قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم**﴾ وهذا المقدار مباح ليس في إرتكابه جناح، وإنما قيل له ﴿**لم تحرم ما أحـل الله لك**﴾ رفقاً به وشفقة عليه، وتنويهاً لقدره، ولمنصبه أن يراعي مـرضاة أزواجه بما يشق عليه. . إلى أن يقول: والـزمخشري حمله على المحمل الأول ومعاذ الله أن يعتقد النبي تحريم ما أحله الله لـه ... وما هذا من الزمخشري إلا جراءة على الله ورسوله. (١٢٩)

سادساً: عرض القرآن لاستماع نفر من الجن لرسول الله وإيمانهم به:

عرض القرآن الكريم خبر الجن في بعض من آياته، ولقائهم برسول الله (ﷺ) وإيمان بعضهم به، وهذا دليل على وجود الجن، وأنهم مكلفون، وأن منهم من آمن بالله ورسوله، ومنهم من كفر ولم يؤمن، وقد أورد قصة الجن كاملة ابن إسحاق في سيرته، وقد ارتفعت الأدلة على وجود الجن وأنهم مكلفون إلى درجة القطع. بحديث القرآن عنهم في نصوص قاطعة صريحة، كالآيات التي في صدر سورة الجن وكقوله تعالى: **﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن - إلى قوله تعالى - ويجركم من عذاب أليم﴾**.[١٣٠]

قال الإمام ابن الجوزي: وبخ الله عز وجل بهذه الآية كفار قريش بما آمنت به الجن، وفي سبب صرفهم إلى النبى (ﷺ) ثلاثة أقوال[١٣١]:-

أحدها: انهم صرفوا إليه بسبب ما حدث من رجمهم بالشهب، روي البخاري ومسلم في (الصحيحين) من حديث ابن عباس قال: انطلق رسول الله (ﷺ) في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشيطان وبين السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ماذاك إلا من شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر؟ فمر النفر الذين توجهوا نحو تهامة بالنبي (ﷺ) وهو بـ(نخلة)[١٣٢] وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك رجعوا إلى قومهم **﴿فقالوا: إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد﴾**.[١٣٣]

والثاني: أنهم صرفوا إليه لينذرهم، وأمرَ أن يقر عليهم القرآن، هذا مذهب جماعة، منهم قتادة، وفي أفراد مسلم من حديث علقمة قال قلت لعبدالله: من كان منكم مع النبى (ﷺ) ليلة الجن؟ فقال: ما كان منا معه أحد، فقدناه ذات ليلة ونحن بمكة، فقلنا: اغتيل رسول الله (ﷺ) أو استطير، فانطلقنا نطلبه في الشعاب، فلقيناه مقبلاً من نحو حراء، فقلنا: يارسول الله، أين كنت؟ لقد أشفقنا عليك، وقلنا له: بتنا الليلة بشرّ ليلة بات بها قوم حين فقدناك، فقال: (إنه أتاني داعي الجن، فذهبت أقرئهمَ القرآن) فذهب بنا، فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم).[١٣٤]

والثالث: أنهم مروا به وهو يقرأ، فسمعوا القرآن، فذكر بعض المفسرين أنه لما يئس من أهل مكة أن يجيبوه، خرج إلى الطائف ليدعوهم إلى الإسلام، وقيل: ليلتمس نصرهم، وذلك بعد موت أبي طالب، فلما كان ببطن نخلة قام يقرأ القرآن في صلاة الفجر، فمرَّ به نفرٌ من أشراف جن نصيبين، فاستمعوا القرآن، فعلى هذا القول والقول الأول، لم يعلم بحضورهم حتى أخبره الله تعالى: وعلى القول الثاني، علم بهم حيث جاءوا. (١٣٥)

قال ابن كثير بعد أن سرد كثيراً من الروايات حول هذا الموضوع: فهذه الطرق كلها تدل على أنه (ﷺ) ذهب إلى الجن قصداً، فتلا عليهم القرآن ودعاهم إلى الله عز وجل، وشرع الله تعالى لهم على لسانه ما هم محتاجون إليه في ذلك الوقت، قال: وقد يحتمل أن أول مرة سمعوه يقرأ القرآن لم يشعر بهم كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما، ثم بعد ذلك وفدوا إليه كما رواه ابن مسعود رضي الله عنه، قال: وأمَّا ابن مسعود رضي الله عنه، فإنه لم يكن مع رسول الله (ﷺ) حال مخاطبته للجن ودعائه إياهم، قال: وإنما كان بعيداً منه. ولم يخرج مع النبى (ﷺ) أحد سواه، ومع هذا لم يشهد حال المخاطبة، قال: هذه طريقة البيهقي، قال: وقد يحتمل أن يكون أول مرة خرج إليهم لم يكن معه (ﷺ) ابن مسعود رضي الله عنه ولا غيره، ثم بعد ذلك خرج معه ليلة أخرى، والله أعلم. (١٣٦)

قوله تعالى: ﴿**أجيبوا داعي الله**﴾ يعنون محمداً (ﷺ)، وهذا يدل أنه أرسل إلى الجن والإنس. (١٣٧)

قال ابن كثير: فيه دلالة على أنه تعالى أرسل محمداً (ﷺ) إلى الثقلين الجن والإنس حيث دعاهم إلى الله تعالى، وقرأ عليهم السورة التي فيها خطاب الفريقين وتكليفهم ووعدهم ووعيدهم، وهي سورة (الرحمن)، قال ولهذا قال: ﴿**أجيبوا داعي الله وآمنوا به**﴾. (١٣٨)

سابعاً : حديث القرآن عن الإسراء والمعراج :

إنَّ معجزة الإسراء والمعراج أذن بها الله تعالى عزاءً وتسلية لما أصاب رسوله (ﷺ) في عام الحزن، من فقد عمه المحامي الشهم أبي طالب، وزوجه الوفيه الودود خديجة. وكانت بلسماً شافياً لشكواه مما لقيه من عناد كفار قريش في مكة، وغلظة كفار ثقيف في الطائف، وهي رحلة مباركة، خرقت مقاييس الزمان والمكان، وربطت بين الرسالة المحمدية ومقدسات الأرض ووثقت صلتها بوحي السماء.

وستبقى تفاصيل هذه السياحة الكونية الغيبة دروساً عملية خالدة، يتعلم منها الدعاة إلى الله : سمو الروح، وصدق الإيمان، وسعة الأَفق ومضاءة العزيمة. (١٣٩)

والمسلم يجهد عقله وتفكيره لمعرفة تفاصيل هذه المعجزة الألهية، وما بلغه رسول الله بها من تشريف وتفضيل وتكريم، وما رآه أثناءها من مقامات الأنبياء، وأمور الآخرة. وكيف فرض الله عليه وعلى أمته الصلوات الخمس وأسمعه كلامه عز وجل، وأدناه من جنابه العظيم.

والمنهج السديد في تحقيق ذلك كله فيكون بالاعتماد على الخبر المتواتر من كتاب الله تعالى يقرؤه المسلم بتدبر وتفكر ويقين، والاقتصار على الأحاديث الصحيحة ينظر فيها بتأمِل وتعقل.

* حكم الإسراء والمعراج :

الإسراء : ثابت بالقرآن الكريم، قال الله عز وجل : **﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾**. (١٤٠)

كما هو ثابت في جميع كتب الحديث وفي مقدمتها صحيحا البخاري ومسلم، وروي عن جم غفير من الصحابة، فهو من المتواتر بهذا الوجه. (١٤١)

أما المعراج : فهو ثابت بالروايات الصحيحة، المروية في (الصحيحين) وفي غيرهما من مصنفات الحديث، وقد أشار الله تعالي إليه في سورة النجم، فقال تعالى : **﴿ثم دنا**

فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى. أفتمارونه على ما يرى، ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة ما يغشى، ما زاغ البصر وما طغى، لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾. (١٤٢)

وقد كان كل من الإسراء والمعراج آية خارقة من آيات الله تعالى، جاءت في وقتها ليرى الله رسوله من آياته الكبرى، وليكرمه في السماء بعد أن أذاه أهل الأرض، وخصوصاً بعد عام الحزن ورحلة الطائف. كما كان اعداداً له لمواجهة المرحلة المقبلة في مرحلة الهجرة وما بعدها من الجهاد الطويل.

ثامناً : عرض القرآن لموضوعات أخرى تتصل بسيرة رسول الله (ﷺ) منها على سبيل المثال :

عرض القرآن الكريم لهجرته (ﷺ) حينما تآمر المشركون على قتله قال تعالي: **﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾**. (١٤٣) ويقول جل علاه: **﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار﴾**. (١٤٤)

كما وصف القرآن بعض غزواته (ﷺ) مثل غزوة بدر الكبرى التي أعز الله تعالى فيها الإسلام ونصر رسوله (ﷺ) والمؤمنين، وتحدثت عنها كثير من آيات القرآن، قال تعالي: **﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة، فأتقوا الله لعلكم تشكرون﴾** الآية ... (١٤٥) كما تحدثت آيات أخرى عن تنظيم توزيع الغنائم قال تعالى: **﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأنَّ لله خمسة وللرسول ولذي القربي واليتامى والمساكين﴾** ... (١٤٦)

وتناولت آيات أخرى غزوة أحد معلقة على إرجاف اليهود والمنافقين، وبياناً لحكم كثيرة حدثت في هذه الغزوة، قال تعالي: **﴿وإذا غدوت من أهلك تبوِّىء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم** - إلى قوله تعالى - **الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلا قل فأدرؤا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾**. (١٤٧)

وقد انطوت غزوة أحد على دروس بالغة الأهمية للمسلمين في كل عصر، وقد رسخ فيها النبى (ﷺ) مبدأ الشورى، ولا سيما في القضايا الحربية التي تتعلق بمستقبل الأمة.

كما عرض القرآن غزوة حنين التي كانت درساً في العقيدة الإسلامية، وقانون الأسباب والمسببات، من نوع ذلك الدرس الذي أوحت به غزوة بدر، بل متمماً له، فإذا كانت غزوة بدر قد قررت للمسلمين أن القلة لا تضرهم شيئاً في جنب كثرة أعدائهم، إذا كانوا صابرين ومتقين، فإن غزوة حنين قد قررت للمسلمين أن الكثرة أيضاً لا تفيدهم إذا لم يكونوا صابرين ومتقين. وكما نزلت آيات من كتاب الله تعالى في تقرير عبرة (بدر) فقد نزلت منه آيات أخرى في تقرير العبرة التي ينبغي أن تؤخذ من (حنين) فقال تعالى عن هذه الغزوة: **﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلن تغن عنكم شيئاً، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلي المؤمنين، وأنزل جنوداً لم**

تروها، وعـذب الذين كفروا وذلـك جزاء الكافريـن، ثم يتوب الله من بعـد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم﴾ . (١٤٨)

وقد أنـزل الله تعالي في غزوة الأحزاب سـورة باسم هـذه الغزوة، فبينت كل مـا يتعلق بظروف هذه الغـزوة، وأن الله تعالى نصر عبده، وأعز جنده وهزم الأحـزاب وحده. قال تعـالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا أذكروا نعمة الله عليكـم إذ جاءتكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروهـا وكان الله بما تعلمون بصيراً﴾** إلى قولـه جل شـأنه **﴿وأورثكم أرضهـم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا﴾** . (١٤٩)

أما الأسلوب الثاني الذي عرض به القرآن الكريم سيرة الرسول (ﷺ) فهو التعليق على الوقائع والأحداث، وذلـك بالإجابة على ما استشكل في شـأنها أو لكشف الغوامض بها، أو لفت نظر المسلمين إلى وجه العبرة والموعظـة فيها، وكل ذلك إنما يرتبط بجـانب ما من سيرته (ﷺ) أو شـأن من شؤونـه ، فهي بذلـك، تجلي لنا الكثير مـن مناحي حيـاته (ﷺ) ومختلف شؤونه وأعماله.

من ذلك قصة الإفك وما فيها من دروس وعظات فقد أنزل الله تعالى عشرة آيات ببراءة أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) - وإدانـة المنافقين والخاطئين، قال تعالى: **﴿إن الذيـن جاءوا بـالإفْك عصبـة منكم لا تحسبـوه شراً لكم بل هـو خير لكم، لكـل أمريء منهـم ما اكتسب منَ الاَثم، والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم - إلى قوله تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم﴾** . (١٥٠)

ومثل حادثة الظهار التـي نزل فيها قول الله تعالى: **﴿قد سمع الله قـول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله.والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ، الذين يُظاهرونَ منكم من نسائهم - إلى قوله تعالى - وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم﴾** . (١٥١)

وفي إسم هذه المجادلة ونسبتها وسبب نزول هذه الآيات آراء لأهل العلم. (١٥٢)

كما تولى القـرآن الكريم الاجابـة على الأسئلة التي كانـت توجه للنبي (ﷺ) ومـن ذلك الأسئلة التي كان يطـرحها بعض أهل الكتاب من اليهود، مثـل سؤالهم لرسول الله (ﷺ) عن الروح كما جاء ذلك في صحيح البخاري. (١٥٣)

وقد أجاب القرآن عن سـؤالهم هذا بقول الله عز وجل **﴿ويسألونـك عن الروح ، قل**

الروح من أمر ربي، وما آوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ (١٥٤) . الى غير ذلك من الآيات الكريمة التي عرضت كثيراً من جوانب السيرة الزكية للمصطفى الكريم (ﷺ) .

وختاماً: فإن المصدر الأول الصحيح لمعرفة سيرة رسول الله (ﷺ) هو القرآن الكريم، الذي تناول الملامح العامة لسيرة رسول الله (ﷺ) وتحدث عنها من خلال اسلوبين :

الأول : عرض القرآن بعض مشاهد من حياة المصطفى (ﷺ) كحديث القرآن عن نزول الوحي عليه، وعرضه لمراحل دعوته، ووصفه لبعض غزواته، وحياته مع أزواجه - رضي الله عنهن - ومعاملته لأصحابه، وأسلوبه في نشر دعوة الحق، ورفقه بأمته، ومعاملته لأعدائه (ﷺ) .

الثاني : تولى القرآن الكريم التعليق على الأحداث والوقائع، وذلك من خلال الاجابة على ما قد يشكل ، وكشف الغوامض التي تحيط بالأحداث، ولفت نظر المسلمين إلى ما فيها من عبرة وموعظة، وحديث القرآن عن ذلك كله إنما يأتي بايجاز، فهو لا يتعدى بيان الملامح العامة والعرض الإجمالي السريع للوقائع والأخبار.

والله تعالى أعلى وأعلم.

* الحواشــــي *

١ - ســـــورة الأنبيـــاء ، الآية : ١٠٧ .

٢ - ســـــورة الأحـــزاب ، الآية : ٤٠ .

٣ - ســـــورة المائـــــدة ، الآية ٤٨ .

٤ - زاد المسير في علم التفسير ، الإمام عبدالرحمن بـن على ابن الجوزي : ج ٢ ص ٣٧٠ ، ط المكتب الإسلامي ، الطبعة الرابعة ، سنة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م .

٥ - هو أريـده ويقال : أريد التميمي الكـوفي ، روي التفسير عن ابن عبـاس ، وروي عنه أبو إسحاق السبيعـي ، قال الحافظ ابن حجر (في التهذيب) صدوق .

٦ - زاد المسير في علم التفسير : ج ٢ ص ٣٧١ .

٧ - تفسير القرآن العظيـم للعلامـة ابن كثير الـدمشقي القرشي : ج ٢ ص ٦٥ ، طبعـة دار إحياء الكتـب العربيـة ، عيسى البابي الحلبي ، وشركاه بمصر .

٨ - ســـــورة الحـــجر . الآيـــة : ٩ .

٩ - ســـــورة الأحـــزاب ، الآيـــة : ٤٥ .

١٠ - ســـــورة ســـبأ ، الآيـــة : ٢٨ .

١١ - ســـــورة الأعـــراف ، الآيـــة : ١٥٨ .

١٢ - ســـــورة الصـــف ، الآيـــة : ٦ .

١٣ - انظر هامش زاد المسير : ج ٨ ص ٢٥٣ .

١٤ - انظر : صحيح البخاري : ج ٦ ص ٢٥٣ .

١٥ - انظر : محمد في الكتاب المقدس : ص ٨ ، تأليف البروفسور عبـدالأحد داود ، ترجمة فهمي شماء ، طبع بدولة قطر ، طبعة ثالثة ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

١٦ - ســـــورة الأنعـــام ، الآيـــة : ٢١ .

١٧ - ســـــورة البقـــرة ، الآيـــة : ١٤٧ ، والأنعـــام ، : ٢١ .

١٨ - زاد المسير ج ٣ ص ١٤ ، ١٥ ، وتفسير ابن جرير الطبري : ١١/ ٢٩١ ، وتفسير ابن كثير : ٢/ ١٢٦ .

١٩ - ســـــورة الأعـــراف ، الآيـــة : ١٥٧ .

٢٠ - ســـــورة آل عمـــران ، الآية : ٧٠ .

٢١ - ســـــورة آل عمـــران ، الآيـــة : ٧١ .

٢٢ - صفوة التفاسير : ج ١ ص ٢٠٩ محمد على الصابوني ، طبع بقطر ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م طبعة ثانية .

٢٣ - ســـــورة آل عمـــران ، الآيـــة : ٧٢ .

٢٤ - مختصر تفسير ابن كثير : ج ١ ص ٢٩١ ومجاز القرآن لأبي عبيدة : ص ٢٩ ، ومجمع البيان : ج ٢ ص ٤٥٦ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٤٨٦ .

٢٥ - محمـــد في الكـــتاب المقـــدس : ص ٩ .

٢٦ - رواه مسلم بلفظ (خلقه كان القرآن) وقد رواه أمد وأبو داود والنسائي ، انظر مسند الإمام أحمد : ج ٦ ص ١ وصحيح مسلم : ج ١ ص ٥١٢ ، والمستدرك للحاكم : ج ٢ ص ٤٩٩ ، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وأورده السيوطي في الدر المنثور : ج ٦ ص ٢٥٠ .

٢٧ - سورة الضحى ، الآية : ٦ ، ٧ .

٢٨ - فتح القدير : ج ٥ ص ٤٥٨ محمد بن على الشوكاني ، دار الفكر سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٢٩ - تفسير التحرير والتنوير : ج ٣٠ ص ٣٩٩ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ، الدار التونسية ، طبعة أولى سنة ١٩٨٤م .

٣٠ - انظر : سيرة ابن هشام : ج ١ ص ١٦٤ ، وتهذيب السيرة : ص ٣٦ ، وفقه السيرة د . محمد سعيد رمضان البوطي ص ٣٥ ، دار الفكر ، طبعة سادسة ، سنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

٣١ - تفسير التحرير والتنوير : ج ٣٠ ص ٣٩٩ .

٣٢ - سورة البقرة ، الآية ٢٨٢ .

٣٣ - زاد المسير في علم التفسير : ج ٩ ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

٣٤ - التحرير والتنوير : ج ٣٠ ص ٤٠٠ .

٣٥ - سورة يونس عليه السلام ، الآية : ١٦ .

٣٦ - سورة المؤمنون ، الآية : ٦٩ .

٣٧ - انظر : التحرير والتنوير : ج ٣٠ ص ٤٠٠ .

٣٨ - البيت لأحيحة بن الجلاح الزوس ، وهو في جمهرة أشعار العرب : ١٢٥ ، و(معاني القرآن) للفراء : ج ١ ص ٢٥٥ ، و(الجمهرة) ٢/ ١٩٣ ، و(الطبري) ٧/ ٥٤٩ ، و(اللسان) عيل ، و(مجاز القرآن) لأبي عبيدة : ج ٢ ص ٣٠٢ ، و(القرطبي) في الجامع لأحكام القرآن : ج ٢٠ ص ٩٩ .

٣٩ - زاد المسير في علم التفسير ج ٩ ص ١٥٩ .

٤٠ - انظر فتح القدير : ج ٥ ص ٤٥٨ ، وزاد المسير : ج ٩ ص ١٦٠ .

٤١ - صحيح البخاري : ج ١١ ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ، وصحيح مسلم برقم (١٠٣٥٠) وأخرجه الترمذي برقم (٢٣٧٤) وأحمد في مسنده : ج ٢ ص ٢٤٣ ، و٣٦١ و ٣١٥ .

٤٢ - صحيح مسلم برقم (١٠٥٤) وأخرجه الترمذي برقم (٢٣٤٩) وذكره الإمام النووي في رياض الصالحين ، ص ٢٦٥ ، مؤسسة الرسالة ، ط ٦ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .

٤٣ - انظر : فتح القدير للشوكاني : ج ٥ ص ٤٥٨ .

٤٤ - سورة الانشراح ، الآيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

٤٥ - تفسير التحرير والتنوير : ج ٣٠ ص ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

٤٦ - زاد المسير في علم التفسير : ج ٩ ص ١٦٢ .

٤٧ - سورة الأنعام ، الآية : ١٢٥ .

٤٨ - تفسير ابن كثير : ج ٤ ص ٣٤٤ .

٤٩ - فتح القدير للشوكاني : ج ٥ ص ٤٦١ .

٥٠ - سورة الزمر ، الآية : ٢٢ .

٥١ - انظر فتح القدير : ج ٤ ص ٤٥٨ .

٥٢ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج ٥ ص ٣٤٠، ٣٤١ لأبي محمد عبدالحق بن عطية ، طبع بدولة قطر ، الطبعة الأولى ، الدوحة ، رجب ١٤٠٣هـ - ابريل (نيسان) ١٩٨٣م .

٥٣ - انظر : سيرة ابن هشام : ج ١ ص ١٨٠ وما بعدها ، والطبري في تاريخه : ج ٢ ص ٢٨٧ ، والبيهقي في سننه ، وأبي نعيم في الحلبة ، وراجع عيون الأثر : (١ - ٤٣) وتهذيب التهذيب ص ٣٦ ، وانظر : صحيح مسلم ١/١٠١ و ١٠٢ ، والترمذي في سننه ، كتاب المناقب : ٩/٢٣٦ .

٥٤ - فقه السيرة ، د. محمد سعيد رمضان البوطي ، ص ٣٨ .

٥٥ - صحيح مسلم : ج ١ ص ١٠١ و ١٠٢ وثبت في الصحيح تكرار حادثة شق صدره - (ﷺ) - أكثر من مرة .

٥٦ - تفسير التحرير والتنوير : ج ٣ ص ٤٠٩ .

٥٧ - صحيح مسلم : ج ١ ص ١٠١ ، ١٠٢ .

٥٨ - مسند الإمام أحمد : ج ٤ ، ص ١٨٤ .

٥٩ - الآية الكبرى في شرح قصة الإسراء ، للإمام جلال الدين السيوطي ، ص ١١٧ ، تحقيق محيي الدين مستو ، دار ابن كثير دمشق ، ومكتبة دار التراث بالمدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٦٠ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للحافظ ابن حجر : ج ٧ ص ٢٠٥ ، المطبعة السلفية بالقاهرة .

٦١ - أحكام القرآن لأبن بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي ، ج ٤ ص ١٩٤٩ ، دار الفكر بيروت ، طبعة محققة ، دون تاريخ .

٦٢ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى : ج ١ ص ١١٦ ، للقاضي عياض البحصبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٦٣ - فتح الباري شرح صحيح البخاري : ج ٧ ص ٢٠٥ .

٦٤ - الآية الكبرى في شرح قصة الإسراء : ص ١١٨ .

٦٥ - فقه السيرة للسيوطي ص ٣٨ .

٦٦ - سورة المدثر ، الآيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

٦٧ - أي : مجاورتي واعتكافي .

٦٨ - أي : صرت في باطنه .

٦٩ - رواه البخاري : ج ٨ ص ٥٢٠ ومسلم : ج ١ ص ١٤٤ ، وأحمد في (المسند) : ج ٣ ص ٣٠٦ ، والطبري : ج ٢٩ ص ١٤٣ والواحدي في أسباب النزول ص ٣٣٣ وأورده السيوطي في الدر المنثور : ج ٦ ص ٢٨٠ ، وزاد نسبته للطيالسي ، وعبدالرزاق ، وعبد بن حميد ، والترمذي ، وابن الضريس ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، وابن الأنباري في (المصاحف) عن جابر رضي الله عنه .

٧٠ - زاد المسير في علم التفسير : ج ٨ ص ٣٩٩ .

٧١ - سورة العلق الآيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ .

٧٢ - حياة محمد : ص ١٣٥ فما بعدها ، محمد حسين هيكل ، الطبعة الثالثة عشر ، مكتبة النهضة ، سنة ١٩٦٨م .

٧٣ - راجع سيرة ابن هشام : ج ١ ص ٢٤٩ - ٢٦١ ، وعيون الأثر لابن سيد الناس ١/٥٣ .

٧٤ - انظر : فتح الباري : ج ١ ص ٢١ .

٧٥ - صحيح البخاري : ج ٨ ص ٥٢٠ ومسلم : ج ١ ص ١٤٤ ، وأحمد في المسند : ج ٣ ص ٣٠٦ والطبري : ج ٢٩ ص ١٤٣ ، وابن الجوزي في زاد المسير : ج ٨ ص ٣٩٩ .

٧٦ - سورة الحجر ، الآية : ٩٤ .

٧٧ - زاد المسير في علم التفسير : ج ٤ ص ٤٢٠ .

٧٨ - سورة الشعراء الآيات : ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ .

٧٩ - انظر صحيح البخاري : ج ٨ ص ٥٦٧ ، وصحيح مسلم : ج ١ ص ١٩٤ بمعناه ، وابن جرير الطبري في تفسيره : ج ٣٠ ص ٣٣٦ ، وابن الجوزي في زاد المسير : ج ٩ ص ٢٥٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور : ج ٦ ص ٤٠٨ ، ونسبه لغير واحد من أهل العلم .

٨٠ - راجع زاد الميعاد لابن القيم : ج ٢ ص ١١٤ ، وانظر مغني المحتاج : ج ٤ ص ٢٦٠ والمغنى لابن قدامه : ج ٩ ص ٢٩٠ والهداية : ج ٢ ص ١٠٣ وبداية المجتهد : ج ١ ص ٣٧٤ .

٨١ - راجع فقه السيرة للبوطي : ص ٦٢ ، وتاريخ الطبري : ج ٢ ص ٣٤٤ وسيرة ابن هشام : ج ١ ص ١٥٨ ، وانظر كتاب خاتم النبيين (ﷺ) الشيخ محمد أبو زهرة : ج ١ ص ٣٢٢ .

٨٢ - سورة الأنفال ، الآيات ٦٧ ، ٦٨ .

٨٣ - (الطبري) ج ١٤ ص ٦٣ ، ورواه أحمد في (المسند) رقم ٢٠٨ و ٢٢١ مطولاً ، ورواه مسلم في (صحيحه) : ج ٣ ص ١٣٨٣ - ١٣٨٥هـ كذلك مطولاً ، وابن الجوزي في زاد المسير : ج ٣ ص ٣٧٩ ، ٣٨٠ مختصراً بمعناه ، وروى بعضه أبو داود في (سننه) رقم ٢٦٩٠ ، ورواه الترمذي ج ٢ ص ١٣٤ مختصراً ، والواحدي في أسباب النزول مطولاً ١٣٧ - ١٣٨ ، وأورده ابن كثير في (التفسير) : ج ٢ ص ٢٨٩ من رواية أحمد بطوله .

٨٤ - هذا جزء من حديث صحيح رواه البخاري وأبو داود وتمامه (فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله (ﷺ) لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل ، فينتقم لله بها) انظر فتح الباري ، شرح صحيح البخاري ج ٦ ص ٣٧١ ، ومن هدي السنة ص ٤٥ ، تأليف علي حسب الله ، والدكتور / مصطفى زيد ، طبعة ثالثة ، سنة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م دار الفكر العربي .

٨٥ - تفسير التحرير والتنوير : ج ١٠ ص ٧٣ ، وأحكام القرآن لابن العربي : ج ٢ ص ٨٨٠ ، ٨٨١ .

٨٦ - سورة الفتح ، الآية : ٢٩ .

٨٧ - تفسير التحرير والتنوير : ج ١٠ ص ٧٤ ، وانظر فتح القدير للشوكاني : ج ٢ ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، وابن جرير الطبري : ج ١٤ ص ٦٣ وأسباب النزول للواحدي ص ١٣٧ - ١٣٨ ، وابن كثير : ج ٢ ص ٢٨٩ والدر المنثور للسيوطي : ج ٣ ص ٢٠٢ .

٨٨ - زاد المسير في علم التفسير : ج ٣ ص ٣٨٢ ، وفتح القدير للشوكاني : ج ٢ ص ٢٣٧ وابن كثير : ج ٢ ص ٢٨٩ .

٨٩ - سورة عبس من الآية ١ إلى الآية ١٠ .

٩٠ - أورده الواحدي في أسباب النزول : ص ٣٣٣ بغير سند ، وقال الحافظ في (تخريج أحاديث الكشاف ص ١٨١ ذكره الثعلبي بلا إسناد) وأخرجه ابن ابي حاتم من رواية العوفي عن ابن عباس نحوه ، وأخرجه الترمذي وحسنه ، والحاكم وصححه ، وابن حبان عن عائشة قالت : أنزلت سورة ﴿عبس وتولى﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى ، أتى رسول الله (ﷺ) فجعل يقول : يارسول الله أرشدني ، وعند رسول الله (ﷺ) رجل من عظماء المشركين ، فجعل رسول الله (ﷺ) يعرض عنه ، ويقبل على

الآخر، ويقول: أترى بها أقول بأساً؟ فيقول: لا ففي هذا أنزلت. انظر هامش زاد المسير: ج ٩ ص ٢٧.

٩١ - سورة الأحزاب، الآية ٣٧.

٩٢ - رواه الطبري في تفسيره: ج ٢٢ ص ١٣ وفي سنده على بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف. ورواه ابن أبى حاتم عن على بن الحسين، وفي سنده أيضاً على بن زيد بن جدعان، رواه ابن ابى حاتم أيضاً من طريق السدي، قال الحافظ ابن حجر عنه في (الفتح) ج ٨ ص ٤٠٣: (وهو أوضح سياقاً وأصح اسناداً إليه. أ هـ.) وقال الألوسي في تفسيره عن هذا المعني: وإلى هذا ذهب أهل التحقيق من المفسرين، كالزهري وبكر بن العلاء، والقشيري، والقاضي أبي بن العربي، وغيرهم. انظر: أحكام القرآن لابن العربي: ج ٣ ص ١٥٤١ فما بعدها.

والحاصل: أن الذي كان يخفيه النبي (ﷺ) هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته كما جاء في كلام الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ج ٨ ص ٤٠٣.

٩٣ - زاد المسير في علم التفسير: ج ٦ ص ٣٨٧.

٩٤ - رواه الطبري بهذا اللفظ: ج ٢٢ ص ١٣ من قول الحسن، ورواه أيضاً عن عائشة بلفظ لو كتم رسول الله (ﷺ) شيئاً مما أوحي إليه من كتاب الله لكتم **﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾** ورواه الترمذي في سننه ج ٢ ص ١٥٣ بنحوه وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأوره السيوطي في (الدر المنثور) ج ٥ ص ٢٠٢، وزاد نسبته لسعيد بن منصور، وعبد بن عبيد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه عن عائشة.

٩٥ - صحيح مسلم: ج ١ ص ١٦٠.

٩٦ - مختصر تفسير ابن كثير: ج ٣ ص ٩٨ فما بعدها.

٩٧ - انظر: جامع البيان للطبري: ج ٢٢ ص ١٠، والكشاف للزمخشري: ج ٣ ص ٤٢٧ - ٤٢٨.

٩٨ - انظر: فتح الباري ء شرح صحيح البخاري: ج ٨ ص ٤٠٣.

٩٩ - انظر: تفسير الألوسى عند هذه الآية في سورة الأحزاب.

١٠٠ - فتح الباري شرح صحيح البخارى: ج ٨ ص ٤٠٣.

١٠١ - سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

١٠٢ - انظر: عصمة الأنبياء: ص ٤٥٣ فما بعدها لاستاذنا الدكتور / محمد أبو النور الحديدي، مطبعة الأمانة بمصر، سنة ١٩٧٩م.

١٠٣ - جامع البيان ج ٢ـ ص ١٠، الإمام محمد بن جرير الطبري.

١٠٤ - الكشاف ج ٣ ص ٤٢٧، الإمام محمود بن عمر الزمخشري.

١٠٥ - انظر: تفسير النسفي، عبدالله بن أحمد النسفي، دار إحياء الكتب العربية، عند تفسير الآية في سورة الأحزاب في الجزء الثالث.

١٠٦ - عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، ص ٤٥٦.

١٠٧ - سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.

١٠٨ حياة محمد، ص ٣١٥ فما بعدها، محمد حسين هيكل، مكتبة النهضة المصرية، طبعة ١٣.

١٠٩ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٨ ص ٤٠٣، والشفا بتعريف حقوق المصطفى: ج ٢ ص ١٨٢، وأحكام القرآن لابن العربي: ج ٣ ص ١٥٣٢.

١١٠ - سـورة الأحـزاب ، الآيـة : ٣٧ .

١١١ - انظر : روائع البيان في تفسير آيات الأحكام : ج ٢ ص ٣٣٤ ، محمد على الصابوني، مكتبة الغزالي، الطبعة الثانية ، سنن ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م.

١١٢ - سـورة طـه ، الآيـة : ١٣١ .

١١٣ - انظر : أحكام القرآن ، لابن العربي، ج ٣ ص ١٥٣٢ .

١١٤ - سـورة التحـريم ، الآيـة ١ .

١١٥ - عصمة الأنبياء، د. محمد أبو النور الحديدي، ص ٤٦٦ .

١١٦ - الكشاف للزمخشري : ج ٤ ص ٤٥٠ .

١١٧ - المراد بالحلواء هنا : كـل شيء حلو، وذكر العسل بعدها تنبيـه على شرفه ومزيته، وهو من بـاب ذكر الخاص بعد العام، وفيه جواز أكـل لذيذ الأطعمة والطيّبـات من الرزق، وأن ذلك لا ينافي الـزهد والمراقبة، لا سيما إذا حصـل اتفـاقاً ، فتح الباري ٨/ ٥٠٣ .

١١٨ - قال الجوهري : العُكّة : آنية السمن، أو القربة الصغيرة، انظر: مختار الصحاح .

١١٩ - أي لنطلبن له الحيلة، وهي الحذق في تدبير الأمور ونقلب الفكر حتى يهتدي إلى المقصود .

١٢٠ - أي رعت نحـل هذا العسـل الذي شربـه ، يقال : جـرست النحـل تجرس جرساً : إذا أكلت لتعسـل، ويقال للنحـل : جوارس، والعـرقط : مفعول جـرست، وهو شجـر ينضح الصمـغ المعروف بالمغـافير، أي لكونها رعته، وأخـذت منه فحصلت هذه الرائحة .

١٢١ - حرمناه، وهو بتخفيف الراء، منعناه منه، يقال حرمته وأحرمته ، والأول أفصح .

١٢٢ - رواه البخاري في (صحيحه• ج ١١ ص ٢٩٥ - ٢٩٧ ، ومسلم : ج ٢ ص ١١٠١ - ١١٠١ من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها .

١٢٣ - تفسير التحرير والتنوير : ج ٢٨ ص ٣٤٤ ، وهذا ما ذكره مسلم في صحيحه، ورجح أنها زينب ٤/ ١٠٧ .

١٢٤ - رواه ابن جـرير الطبري : ج ٢٨ ص ١٥٧ ، عن محمـد بن سعـد صاحب (الطبقـات) من رواية عطيـة العوفي، عـن ابن عباس، وعطية ضعيـف، وأورده السيوطي في (الدر المنثور) : ج ٦ ص ٢٣٩ ، وزاد نسبتـه لابن مردوية عـن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الواحدي في (أسباب النزول) ص ٣٢٥ .

١٢٥ - ذكره ابن كثير في تفسيره : ج ٤ ص ٣٨٧ .

١٢٦ - أحكام القرآن لابن العربي : ج ٤ ص ١٨٣٣ .

١٢٧ - شرح النووي على صحيح مسلم : ج ٣ ص ٦٧٤ ، كتاب الشعب .

١٢٨ - سـورة القصـص ، الآيـة : ١٢ .

١٢٩ - الانتصاف من صاحب الكشاف : ج ٣ ص ٢١١ - ٢١٥ بتصرف ، الإمام أحمد بن محمد بن المنير .

١٣٠ - سـورة الأحـقاف ، الآيـات ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ .

١٣١ - انظر : زاد المسير في علم التفسير : ج ٧ ص ٣٧٨ - ٣٨٨ .

١٣٢ - موضع بين مكة والطائف، وهي التي ينسب إليها (بطـن نخلة) قال الحافظ ابن حجر (في الفتح) : ووقع في رواية مسلم (بنخل) بلا هاء ، والصواب إثباتها . أهـ. انظر فتح الباري : ج ٨ ص ٥١٣ .

١٣٣ - سورة الجن ، الآية ١ ، والحديث رواه البخاري : ج ٢ ص ٢١٠ ومسلم : ج ١ ص ٣٣١ ، وفي فتح الباري : ج ٨ ص ٥١٣ وأورده السيوطي في الدر المنثور : ج ٦ ص ٢٧٠ .

١٣٤ - رواه مسلم : ج ١ ص ٣٣٢ ، وأورده ابن الجوزي في زاد المسير : ج ٧ ص ٣٨٨ ورواه أيضاً أحمد في (المسند) رقم (٤١٤٩) . وأورده السيوطي في (الدر المنثور) وزاد نسبته لعبدبن حميد ، والترمذي .

١٣٥ - هذا الخبر من رواية ابن اسحاق عن يزيد بن رومان عن محمد بن كعب القرظي .

١٣٦ - تفسير ابن كثير : ج ٤ ص ٣٥١ .

١٣٧ - زاد المسير في علم التفسير : ج ٧ ص ٣٩٠ .

١٣٨ - تفسير ابن كثير : ج ٤ ص ٣٥٢ وانظر : صحيح البخاري : ج ٦ ص ٧٣ وفتح الباري : ج ٨ ص ٤٧٣ ، وعيون الأثر لابن سيد الناس : ج ١ ص ١١٨ .

١٣٩ - انظر : مقدمة الاستاذ / محيي الدين مستو على كتاب الآية الكبري في شرح قصة الإسراء ، ص ٨ .

١٤٠ - سورة الإسراء ، الآية : ١ .

١٤١ - انظر : صحيح البخاري في كتاب الصلاة (باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء) رقم / ٣٤٩ وفي كتاب (باب ما جاء في زمزم) رقم / ١٦٣٦ ، وفي كتاب الأنبياء (باب ذكر إدريس عليه السلام) رقم / ٣٣٤٢ ، وصحيح مسلم في كتاب الإيمان (باب الإسراء برسول الله (ﷺ) إلى السموات ، وفرض الصلوات) رقم ١٦٢ .

١٤٢ - سورة النجم ، الآيات من ٨ : ١٨ وانظر : صحيح البخاري : ج ١٣ ص ٣٩٩ ، ومسلم : ج ١ ص ١٤٨ ، وانظر : شرح مسلم : ج ٢ ص ٢١٠ وفتح الباري : ج ١٣ ص ٤٠٢ ، ٤٠٥ .

١٤٣ - سورة الأنفال ، الآية ٣٠ .

١٤٤ - سورة التوبة ، الآية : ٤٠ .

١٤٥ - سورة آل عمران ، الآية ١٢٣ .

١٤٦ - سورة الأنفال ، الآيات ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ .

١٤٧ - سورة آل عمران ، الآيات : ١٢١ إلى الآية ١٦٨ .

١٤٨ - سورة التوبة ، الآيات : ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .

١٤٩ - سورة الأحزاب ، من الآية : ٩ إلى الآية رقم ٢٧ .

١٥٠ - سورة النور ، الآيات من : ١١ إلى ٢٠ .

١٥١ - سورة المجادلة ، الآيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

١٥٢ - انظر : زاد المسير : ج ٨ ص ١٨٠ - ١٨١ وأسباب نزول للواحدي : ص ٣٠٤ ، وتفسير الطبري : ج ٢٨ ص ٦٠٥ والمستدرك للحاكم : ج٢ ص ٤٨١ وابن ماجه في (سننه) رقم ٢٠٦٣ ، والسنن الكبرى للبيهقي : ج٧ص ٣٨٢ .

١٥٣ - صحيح البخاري ، كتاب العلم : ج ٢ ص ٤٧ ، وانظر : حوار الرسول (ﷺ) مع اليهود ، الأستاذ / محسن محمد عبدالناظر ، ١٧ .

١٥٤ - سورة الإسراء ، الآية ٨٥ .